الباب الثالث

القتال فى شبه جزيرة سيناء

الفصل الرابع : تسلسل الأحداث على المحور الجنوبى ومعركة ممر متلا

الفصل الخامس : معركة أم قطف

الفصل السادس : تسلسل الأحداث على المحور الشمالى ومعركة رفح

الفصل الرابع

تسلسل الأحداث على المحور الجنوبى " الكونتلا متلا" ومعركة ممر متلا

مقدمة - مجمل الخطة الاسرائيليه - إجراءات الأمن الإسرائيلية - اختيار منطقة الحشد - تشكيل المعركة للواء ٢٠٢ المظلى - الخطه الإسرائيلية التفصيلية - تشكيل المسير - الخدمة الإدارية والفنية - بدء القتال على المحور الجنوبى - الإبرار الجوى فى صدر الحيطان . رد فعل القيادة الشرقية المصرية - خطة العقيد الشربينى - خطة المقدم عطيه - زحف قوات العقيد شارون - سقطوا وهم قابضون على السلاح - معركة متلا - وصف الأرض - تأثير طبيعة الأرض على المعركة - خطة العقيد الشربينى للدفاع عن الممر - المحاولة الأولى لاقتحام الممر - المحاولة الثانية الهجوم الاول على الممر - الهجوم الثانى - الهجوم الثالث والأخير - شارون يواجه خطراً جديداً - هل كانت المعركه ضرورية ؟ تداعيات موقف الشربينى - التعليق .

مقدمة :

يرجع سبب انتخاب المدخل الشرقى لممر متلا موقعاً لبدء عدوان إسرائيل إلى خلوه من أى نفس حية .[1] وعندما اعترض البعض بأنها تبعد نحو ستين كيلو متراً عن قناه السويس التى يراد خلق حالة صراع مسلح على مشارفها ، تعطى الذريعة للقوات الأنجلوفرنسية للتدخل لحمايتها ، طمأنهم الجنرال موشيه ديان بأنه وقت المعارك تتوه الحقائق التى يسهل على وسائل الإعلام الصهيونية أن تلوى أعناقها بما يخدم وجهة نظر اسرائيل .

ولهذا فإنه لم يطرأ سبب لاشتعال القتال ، إلا بعد أن نزلت الكتيبة ٨٩٠ مظلات

ذات شعار الثعبان المجنح ، والتى يقودها المقدم روفائيل ايتان على مدخله الشرقى ؛ مما دعا القيادة المصرية إلى سرعة دفع مجموعة اللواء الثانى المشاه قيادة العقيد وجيه طاهر الشربينى لشن الهجوم عليها بالمواجهة ، بينما يقوم الألاى الثانى استطلاع مدرع قيادة المقدم احمد على عطيَّه بالالتفاف عليها من جانبها الأيمن عبر وادى المليز ليباغتها من الخلف[٢] .

وكان باقى مجموعة اللواء ٢٠٢ مظلات قيادة العقيد أرييل شارون تغذ السير من الكونتلا ؛ لتنضم إلى كتيبته المسقطة فى متلا قبل ان تتعرض لهجوم مصرى متفوِّق ، لن تستطيع مواجهته بأسلحتها الخفيفة وحجمها الصغير[٣] .

وهكذا تحولت المسألة إلى سباق سير اقتراب بين قوتين متضادتين ، يفصلهما عن شرق الممر نفس المسافة تقريباً ، ويتعرضان لمشكلات مشابهة نظراً لوعورة الأرض وانقضاض الغارات الجوية عليهما ، بينما زاد حمل مجموعة اللواء الثانى المشاه المتمركزة فى الشلوفة بوجود معبر واحد فوق قناه السويس ، التى تقف حائلاً بينها وبين هدفها ، مع ضرورة إعطاء الأفضلية لعبور قوافل السفن واقتصار عبور المجموعة بين فواصل القوافل . وعلاوة على ذلك فقد كان للواء ٢٠٢ المظلى الذى يتمتع بدرجة ميكنة افضل ، كتيبة كاملة بموقع صدر الحيطان قائمة بالتجهيز للمعركة المنتظرة [٤] .

كما أن دولتى التواطؤ كان لهما دور فى معاونة اللواء ٢٠٢ مظلى فى معركته بأن وفرت القوات الجوية الفرنسية الدفاع الجوى عن إسرائيل ؛ حتى تخلى سلاح الطيران الإسرائيلى لمساندة اللواء المظلى بأكبر حجم ممكن من المعاونة الجوية ، فضلاً عن عمل مظلات مستمرة فوق منطقة قناة السويس لمنع الطائرات المصرية من مهاجمة القوه الإسرائيلية [٥] .

وإلى جانب ذلك ، فقد خصص مجهود جوى فرنسى آخر للاشتراك فى أعمال قتال الاتجاه الجنوبى مع سلاح الطيران الإسرائيلى ، علاوة على الإمداد الجوى المستمر بطائرات نورد أطلس من قواعد قبرص لتزويد الكتيبة ٨٩٠ مظلات شرق متلا ، وباقى اللواء ٢٠٢ المظلى المتقدم على المحور الجنوبى بكل ما يلزم من أسلحة ثقيلة وعربات ومواد إعاشة .

هذا بينما حشدت المملكة المتحدة قوة مدرعة فى منطقة العقبة الأردنية على أهبة الاستعداد للتدخل الفورى ؛ لمساندة أعمال قتال اللواء ٢٠٢ مظلى ، اعتباراً من صباح ٣١

أكتوبر ١٩٥٦ . وكانت هذه القوة مشكلة من آلاى دبابات سنتوريان ، وسرية مشاه ، وفصيلة رشاشات متوسطة وبطاريات مدفعية ميدان ٢٥ رطلاً ، وتروب مدفعيه مضادة للدبابات ١٧ رطلاً و ٥٠ ناقلة دبابات .

مجمل الخطة الإسرائيلية :

شكلت أعمال قتال اللواء ٢٠٢ المظلى المرحلة الأولى من العملية « قادش » ، وقد بدأت تلك المعركه فى آخر ضوء يوم ٢٩ أكتوبر ، كما تحدد آخر ضوء يوم ٣٠ موعداً لانتهائها ، على أن تقتصر جميع أعمال القتال فى المحاور الأخرى على خدمة عمليات هذا اللواء المظلى .

وقد اشتملت هذه المرحلة على الأعمال القتالية التالية :[٦]

* تحرك اللواء ٢٠٢ المظلى من منطقة عين حصب بالنقب الجنوبى ، صوب صدر الحيطان مروراً بالكونتلا والتمد ونخل ، بهدف سرعة الاتصال بالكتيبة المسقطة جواً .

* الاستيلاء على منطقة القصيمة بلواء مشاه ، وفتح طريق الحسنة بلواء مدرع لتأمين الجانب الأيمن للواء المظلى ، خلال تقدمه على المحور الجنوبى .

ولتحقيق ذلك ، كان على اللواء ٢٠٢ المظلى أن يعبر خط الحدود المصرية فى الساعة الرابعة عصراً يوم الإثنين ٢٩ أكتوبر ، وبعد أن يقضى على كل ما يصادفه من مقاومات فى الكونتلا والتمد ونخل ، يستولى على تقاطع طرق نخل كمهمة مباشرة ، ثم يستأنف الاندفاع نحو صدر الحيطان لينضم على كتيبته المسقطة هناك ، قبل آخر ضوء يوم الثلاثاء ٣٠ أكتوبر .

ويقوم بالاستيلاء على ممر متلا خلال ليلة ٣٠ / ٣١ أكتوبر ، ثم يؤمن مدخله الغربى قبل أن ينبلج فجر يوم الأربعاء ٣١ اكتوبر ١٩٥٦ ، وهو نفس التوقيت الذى حدده الإنذار الأنجلوفرنسى لبدء تدخله السافر إذا ما رفضت مصر الرضوخ له [٧] .

إجراءات الأمن والخداع :

لما كانت أعمال قتال اللواء ٢٠٢ المظلى تشكل المرحلة الوحيدة التى تنفرد فيها إسرائيل بالعمل قبل التدخل الأنجلوفرنسى ، فقد حرصت الأركان العامة على أن تدير قتالها بحذر

شديد ، وأن تؤمنة ضد المفاجآت غير المتوقعة ، مع التأهب لوقف القتال وسرعة سحب القوات داخل إسرائيل ، بمجرد أن تدعو الحاجة لذلك[٨] .

كما هدفت الأركان العامة أيضاً إلى خداع القيادة المصرية عن حقيقة ذلك العدوان وحجمه ومداه واتجاهاته ، وكسب الوقت مع الاحتفاظ بحرية التصرف السريع فى حالة التعرض للفشل ، أو حدوث خلل فى ترتيبات التواطؤ . ولهذا حرصت على قصر كافة أعمال المرحلة الأولى على مجرد الاستيلاء على بعض المواقع التى تضفى على القتال سمة الإغارة العميقة وتعطيها الصورة الانتقامية[٩] .

اختيار منطقة الحشد :

اختارت الأركان العامة الإسرائيلية منطقة حشد اللواء ٢٠٢ المظلى فى عين الحصب المتاخمة للحدود الاردنية ، والتى تبعد نحو مائة كيلومتراً عن الحدود المصرية ؛ لإخفاء نية الهجوم على الاتجاه الجنوبى بسيناء حتى لاتتاح الفرصة للقيادة المصرية لتعزيزه .

تشكيل المعركة للواء ٢٠٢ المظلى :

كان هذا اللواء المظلى أرقى وحدات جيش إسرائيل من حيث الكفاءة القتالية واللياقة البدنية العالية والروح التعرضية . وقد بدأ تشكيله فى يناير ١٩٥٤ من كتيبة مظلات ، والوحدة ١٠١ من الضباط والجنود المسرحين من الخدمة الإلزامية ، ذوى الصفات الخاصة عسكرياً وأخلاقيًا ، والقادرين ذهنياً ونفسياً على تنفيذ الأعمال الدموية .

وقد استكمل اللواء تشكيلة فى العام التالى كقوة عسكرية خاصة ، تستخدم فى تنفيذ الإغارات الانتقامية وأعمال الإرهاب ضد الدول العربية المتاخمة . فقام اللواء بنحو ٤٥ اغارة كانت آخرها ضد قلقيلية بالأراضى الأردنية يوم ١١ اكتوبر ١٩٥٦ ، أى قبل بدء العدوان على مصر بحوالى ١٨ يوماً . وتعتبر إغارة قلقيلية اكبر عملية قام بها هذا اللواء ، ورغم انه أصيب فيها بخسائركبيرة ، إلا أنه نفذ الإغارة كتطعيم عملى للمعركة المقبلة على الاتجاه الجنوبى فى سيناء [١٠] .

وقد كان اللواء ٢٠٢ المظلى عصر يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ ، يتشكل كالآتى :

مجموعة الإبرار الجوى التكتيكية :[١١]

ضمت هذه المجموعة الكتيبة ٨٩٠ المظلات ، والبطارية ٣٣٢ هاون ثقيل ١٢٠ ملليمتراً (٦ هاونات) ، وتروب مدفعية مضادة للدبابات (٤ مدافع عديمة الارتداد) و٨ عربات جيب ، وعدة لوارى ، و٥ طائرات مواصلات ، وعدد من الشراعيات ، وقد أقلعت بها ١٦ طائرة داكوتا من مطار عكير عصر يوم ٢٩ أكتوبر .

كما خصص لمعاونتها سرب مقاتلات قاذفة وسرب مقاتلات ، ووحدة إمداد جوى .

القوة الرئيسية :

ضمت هذه القوة الكتيبة ٨٨ المظلات الاحتياطية ، والكتيبة ٧٧١ المظلات الناحال ، وكتيبة هاون ثقيل ١٢٠ ملليمتراً عدا بطارية ، وكتيبة مدفعية ميدان (١٨ مدفع) ، وبطارية مضادة للطائرات ، و٤٦ عربه ناقلة جند مدرعة ، وسرية دبابات خفيفة طراز أ.م . اكس ، وكتيبة ناحال من سريتين ، وطاقم أرض هبوط ، وسرب نقل جوى داكوتا ، وسرب مواصلات جوية ، ومستشفى ميدانى .

كما خصص لها مجهود جوى مقاتل ، وآخر للنقل الجوى الفرنسى من إسرائيل وجزيرة قبرص .

الخطة التفصيلية الإسرائيلية :[١٢]

بعد أن تجمعت قوات اللواء ٢٠٢ المظلى فى منطقة عين الحصب الساعة الخامسة مساء ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦ ، بدأ التقدم فى الساعة الثالثة فجرا وبتشكيل منضم فى رتل مسير بمقدمة قوية وقوة أساسية على أن تعبر المقدمة خط الحدود المصرية فى الساعة الرابعة عصر يوم ٢٩ أكتوبر عند ثميلة سويلمه شمال شرق الكونتلا ، بينما تعبرها القوة الأساسية فى الساعة الخامسة ، وتستولى على الفور على قرية الكونتلا .

وفى نفس اللحظة تنقض الكتيبة ٨٩٠ مظلات على منطقة صدر الحيطان باقتحام جوى رأسى ؛ لتستولى على المدخل الشرقى لممر متلا ، وتقوم بتأمينه إلى أن تصل القوة الأساسية للواء خلال ٢٤ ساعة من بدء عملية الاقتحام الجوى الرأسى سالفة الذكر .

ولتحقيق ذلك ، تواصل مجموعة اللواء الاندفاع ليلا فى اتجاه التمد ثم نخل مع إزاحة نقط الإنذار والمراقبة المصرية التى تصادفها ، وتجتاح المواقع التعطيلية التى تعترض طريقها حتى تستولى على منطقة نخل وتؤمن تقاطع الطريق الهام بها كمهمة مباشرة للواء ، قبل ظهر يوم الثلاثاء ٣٠ أكتوبر .

وتبدأ مجموعة اللواء فى تنفيذ المهمة التالية للتقدم صوب صدر الحيطان ؛ لتنضم إلى كتيبتها المسقطة بالأمس ، وذلك قبل مغرب يوم ٣٠ أكتوبر .

ثم يكون اللواء بأكمله مستعداً لتنفيذ ما يوكل اليه من مهام أخرى فى اتجاه بور توفيق ورأس سدر أو بير جفجافة ؛ تبعًا لأوامر قائد المنطقة العسكرية الجنوبية العميد عساف سمحونى ، وكمهمة نهائية للواء .

تشكيل اللواء :[١٣]

بعد تقدير مقتضب للموقف ، قرر العميد أرييل شارون ترتيب سير لوائه فى مقدمة قوية ، تدفع أمامها حرسًا أماميًا لإزاحة نقط المراقبة والإنذار التى تعترض طريقه طبقًا للخطة سالفة الذكر حتى يضمن لقواته التقدم بمعدل سريع نحو هدفها النهائى .

وقد تشكلت تلك المقدمة من كتيبة مظلات محمَّلة فى ناقلات الجند المدرعة التى وصلتها حديثا ، وبطاريتى مدفعية ميدان ٢٥ رطل ، وفصيلتى دبابات خفيفة طراز أ . م . إكس .

أما القوة الأساسية التى ضمَّت باقى اللواء فكانت من كتيبة المظلات النحال وبطارية مدفعية الميدان وكتيبة الهاون الثقيل عدا بطارية وفصيلة دبابات خفيفة .

الخدمات الإدارية والفنية :[١٤]

ولم تغفل الخطة توفيرالمياه والوقود والذخائر للكتيبة ٨٩٠ المظلات بما يكفيها للقتال ٢٤ ساعة ، وهى منعزلة فى منطقة صدر الحيطان ، كما اهتمت الخطة أيضًا بإسقاط الأسلحة المعاونة الثقيلة للكتيبة بعد ثلاث ساعات من إبرارها جوًا بالمنطقة ؛ أى فى الثامنة من مساء نفس اليوم ، فضلاً عن إسقاط كمية إضافية من مواد الإعاشة تكفيها مدة ٢٤ ساعه أخرى .

أمَّا باقى مجموعة اللواء ٢٠٢ المظلى فقد نصَّت الخطة على إعاشتها بطريق البر على محور الكونتلا - التمد - نخل - صدر الحيطان .

بدء القتال على المحور الجنوبى [١٥]

كان من المقرر أن يبدأ تحرك اللواء ٢٠٢ المظلى الساعة الثالثة فجر ٢٩ أكتوبر ، إلا أن بعض عناصره لم تكن حتى هذا الوقت قد انضمت إليه فى عين الحصب .

وحرصًا من قائد اللواء على الالتزام بالتوقيتات المفروضة عليه فى الخطة حتى لا يتأخر عن الإنضمام إلى كتيبته المسقطة فى صدر الحيطان قبل آخر ضوء يوم ٣٠ ؛ فقد قرر بدء التحرك فى السابعة صباحًا ، دون انتظار العناصر المتأخرة .

وتابعت القوة الرئيسية تقدمها صوب الكونتلا طيلة ٢٩ أكتوبر عبر المدقات ، والأدوية الصحراوية دون أن يسمح العقيد شارون لها بأى وقفات للراحة ؛ حتى يعوض الوقت الضائع كما أمر بإعادة ملء العربات بالوقود أثناء التحرك توفيرًا للوقت . ورغم ذلك فقد تبعثرت أرتال اللواء على الطريق الطويل الوعر ، وداخل رمال وادى الجرافى اللينة حيث عانت من الغرز ، ورداءة المدقات فلم تصل طلائعها إلى الحدود المصرية إلا مع مغرب الشمس حيث شاهدتها نقط المراقبة المصرية وأبلغت قيادتها عنها .

واستمر العقيد شارون يجمع عناصر لوائه المظلى حتى الساعة الثامنة مساءً ، عندما عبرت مقدمته الحدود التى كان عليها أن تعبرها قبل ذلك بأربع ساعات حسبما كانت تقضى به الخطة الموضوعة . أما باقى عناصر اللواء فكانت لا تزال مبعثرة على إمتداد وادى الجرافى وقد بلغ بها الإجهاد غايته .

الإبرار الجوى فى صدر الحيطان :[١٦]

قبل الساعة الخامسة بدقائق وصلت الطائرات الداكوتا الست عشره طراز (C - 47) إلى منطقة صدر الحيطان تحرسها عشر طائرات ميتيور من قاعدة حاتسور الجوية بقيادة الألوف مشنيه عايزر وايزمان ، علاوة على اثنتى عشرة طائرة مستير فرنسية ، وشاهد بعض عمال الطرق المصريين المظليين وهم يهبطون إلى الأرض من ارتفاع ١٥٠٠ قدم . ونظرًا لنشاط الريح وارتفاع الطائرات . . فقد انتشر ٣٩٥ مظليًا على مساحة كبيرة كما أصيب ١٥ منهم بجراح .

وعلى خلاف ما حددته الخطة من إسقاط الكتيبه عند النصب التذكارى فى الم ـ الشرقى للممر ، فقد أخطأ الطيارون فأسقطوها فى منطقة منبسطة تبعد عنه نحو ثمانية كيلو مترات شرقًا قرب جبل الحسن

وقد كشف العقيد احتياط أرييه بيرو قائد إحدى سرايا الكتيبة ٨٩٠ مظلات بصدر الحيطان لجريدة الجيروزالم بوست الأسبوعية فى ٨ أغسطس ١٩٩٥ ، أنه قتل ٤٩ مدنيًا من عمال تمهيد الطرق فور هبوط سريته ، وأنه عمد إلى قتلهم لأنه لم يكن يستطيع حراستهم وإطعامهم .

وقال العقيد بيرو إنه قرر أن يخرج عن الصمت بعد ٣٩ عامًا من هذا الحادث المسجَّل فى ملفات دوَّنها مع وزير الدفاع الراحل موشيه ديان ، وأن الكتيبة ٨٩٠ مظلات تعتبر وحدة المذابح ، وأنها عندما لم تجد فى صدر الحيطان جيشًا نظاميًا يمكن أن تدخل معه فى حرب ، دخلت معركة وهمية مع مواطنين مصريين عزَل من السلاح .

كما شهد العقيد شاؤول زيفا قائد الوحدة ١٣ كوماندوز بحرية أنه رأى كتيبة العقيد روفائيل إيتان ، وهى تقتل ٥٠ مدنيًا مصريًا يرتدون الجلباب ، وكانوا يعملون فى رصف الطريق ، وأنه عندما ناقش قائده فى هذه الجريمة قال له « ابتعد إن كان قلبك لايحتمل منظر الدماء » .

وجاء فى جريدة معاريف أن العقيد إيتان قائد الكتيبة ٨٩٠ مظلات ، هو الذى أصدر أمره المباشر بقتل هؤلاء العمال المدنيين ، وأن العقيد بيرو أوقفهم فى الصحراء ، ثم أطلق عليهم النار بشكل عشوائى بينما كان إيتان يقوم بتصويرهم بالكاميرا بالقرب من نصب باركر .

وأكد العميد احتياط مردخاى برون أن الكتيبة ٨٩٠ مظلات قتلت أكثر من ٥٠٠ شخصًا ، إذ أنه ووحدته أحصى عدد الجثث فيما بين ٢٩ أكتوبر و ٤ نوفمبر ١٩٥٦ فكانت أكثر من ٥٠٠ جثة .

وقد أكد العقيد إحتياط ميخائيل دار ما قاله أرييه بيرو ، كما ذكر المؤرخ العسكرى العقيد إحتياط مائير بائيل أنه يعرف الكثير من الحالات المشابهة ، التى قتل فيها ضباط وجنود إسرائيليون مدنيين وأسرى مصريين كانوا عزّلا من السلاح ، وأن جيش إسرائيل ضرب صفحًا عن تلك الجرائم فلم يعاقب أحدًا من مرتكبيها .

وبينما سارع اثنان ممن نجوا من مذبحة عمال الطرق الى الشط للإبلاغ عن هذه الاعمال

العدائية ، كان روفائيل إيتان قائد الكتيبة قد اكتشف خطأ الإسقاط وبدأ يتقدم غربًا إلا أنه بعد سير مجهد لمدة ساعتين ، اكتشف أنه أخطأ الاتجاه فتوقف عند أول مرتفع صادفه ، وكان عبارة عن تبة صغيرة لا يزيد عرضها عن ٢٥٠ مترًا ، حيث اتخذ عليها موقفًا دفاعيًا ليمضى فيه ما بقى من تلك الليلة . وبمجرد أن انبلج الفجر ، تحقق من أنه لا زال على مسافة كيلو مترين من هدفه عند مدخل الممر الذى كلف بتأمينه .

ثم توالت البلاغات على القيادة المصرية ، وكان أكثرها وضوحاً ما أفادت به عربة عادت من الشط إلى نخل عن وجود المظليين الإسرائيليين فى المنطقة . وبعد ذلك بقليل وصلت إلى قياده آلاى الحدود بنخل رسالة لاسلكية من نقطة الشط ، تفيد بتعرض عربة الإجازات التى كانت متوجهة إلى نخل لنيران الإسرائيليين فى منطقة صدر الحيطان أوقعت بأفرادها بعض الإصابات واضطرتها إلى العودة للشط .

رد فعل القيادة الشرقية المصرية :[١٧]

لم يكن هناك ما يبعث على الشك عن اعتزام إسرائيل شن عدوان على مصر ، فيما عدا بعض الظواهر التى تركزت فى نشاط جوى فوق شبه جزيره سيناء ، بعد ظهر يوم ٢٩ أكتوبر . إلا أنه بتوالى البلاغات من نقط المراقبة والإنذار عن ظهور طائرات إسرائيلية فوق الكونتلا وغزة وأم بسيس ونخل والتمد والقصيمة ورفح ، ثم اقتراب بعضها من مطار كبريت بمنطقة القناة قبل آخر ضوء نفس اليوم . . . كل ذلك دفع القيادة الشرقية المصرية إلى الاستعداد لمواجهة أحداث محتملة ، وإن لم تتضح معالمها بعد .

وبازدياد نشاط العدو ، أصدرت القيادة الشرقية المصرية الأمر لقواتها بالاستعداد للتحرك خلال ساعتين من صدور الأمر ، وذلك اعتباراً من الساعة ٢٠٠٠ يوم ٢٩ أكتوبر . وفى نفس الوقت تقريباً ، أمرت الفرقة الثانية المشاه الموجودة ضمن الاحتياطى العام غرب القناة بالتأهب لقفل ممر متلا ومضيق وادى سدر ، الى جانب الاستعداد للدفاع عن منطقة الشط .

ثم قام قائد الفرقة اللواء أركان الحرب محمود محمد السرساوى باستدعاء العقيد وجيه طاهر الشربينى قائد مجموعه اللواء الثانى المشاه بالشلوفة ، حيث أخطره بإسقاط المظلات الإسرائيلية فى صدر الحيطان ، ثم أمره بالآتى :

١ - رفع درجة استعداد اللواء وتجهيز إحدى كتائبه فى ظرف ساعتين ، وباقى مجموعة اللواء فى ظرف أربع ساعات .

٢ - التأهب لتأمين المدخل الغربى لممر متلا ومضيق وادى سدر ، علاوة على الدفاع عن منطقة الشط .

وبعودة العقيد الشربينى إلى الشلوفة ، أمر المقدم أركان الحرب محمد طلعت الألفى قائد مجموعة الكتيبة الخامسة المشاه بتأمين ممر متلا من مدخله الغربى ، بينما تستمر مجموعة الكتيبة السادسة المشاه فى الدفاع عن منطقة الشط وتؤمنها . كما أوفد أحد ضباطه مع عنصر صغير لخدمة القائد ، لتنظيم عملية عبور قواته ليلا من معدية الشط .

وقبل أن ينتهى العقيد الشربينى من إصدار تلك الأوامر ، تلقى تعديلاً من القيادة الشرقية بأن تقوم مجموعة اللواء ، عدا كتيبة ، بالسيطرة على منطقة ممر متلا ومضيق وادى سدر من جهة الغرب ، والقضاء على المظليين الإسرائيليين ، قبل أن تصلهم القوات اللاحقة بطريق البر ، وبالتعاون الوثيق مع الآلاى الثانى استطلاع مدرع المتمركز بفايد ، والذى أمر بدفع أورطة منه للالتفاف عبر وادى المليز القضاء على مؤخرة تلك القوات .

وكان على باقى الآلاى أن يؤمن قاعدة لحشد المجموعة الأولى المدرعة قيادة العقيد أركان الحرب طلعت حسن على فى وادى المليز ، بالإضافة إلى دفع أورطة أخرى منه لتأمين منطقة الحسنة .

خطة العقيد الشربينى :[١٨]

بمجرد أن أخذ الموقف صورة محددة فى مخيلة العقيد الشربينى ، عقد تقديرًا سريعًا له ؛ ليحدد الأسلوب الذى ينفذ به المهام التى أوكلت إليه ، والذى تلخَّص فى الآتى :

١ - دفع مجموعة الكتيبة الخامسة المشاه بعد دعمها بتروب هاون ثقيل ١٢٠ ملليمترا ، وجماعة حاملات أفراد مدرعة ، وفصيلة نقل جند لتبدأ عبور القناة من معدية الشط فى الساعة الحادية عشرة ليلا ، ثم تتقدم صوب مضيق وادى سدر لتأمينه من الغرب بمجموعات من الكتيبة عبر ممر متلا بوثبات ، لاحتلال مدخله الشرقى قبل ضوء يوم ٣٠ أكتوبر ، ومنع العدو من اختراقه .

٢ - وتعمل نفس هذه الكتيبة كقاعدة نيران لمجموعة الكتيبة السادسة ، التى كلفت بشن الهجوم المضاد على قوات العدو ، التى أسقطت جوا بمهمة القضاء عليها ، بالتعاون مع مفرزة الألآى الثانى استطلاع مدرع الذى كلف بالالتفاف حول مؤخرة قوات المظليين عبر وادى المليز ٠

وحتى يضمن سرعة عبور قواته ، تقدم العقيد الشربينى بطلب وقف الملاحة فى القناه إلا أنه لم يتصدق له على هذا الطلب ٠ كما أن طلعة الإستطلاع الجوى التى طلب خروجها فى الساعة السابعة والنصف صباح ٣٠ أكتوبر ، لم تتمكن من تزويده بأية معلومات عما يحدث بصدر الخيطان ؛ حيث كانت شبورة الصباح الكثيفة تغطى المكان ٠

خطة المقدم عطية [١٩] (انظر الخريطة رقم ٧)

كان تحت قيادة المقدم أحمد على عطية أورطة رئاسة ، وثلاث أورط استطلاع محملة فى حاملات أفراد مدرعة ٦ X ٦ ، وأورطة دبابات من ١٢ دبابة شيرمان معدلة ٠ وقد تلقى قبل منتصف ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر أمرًا إنذاريًا بالاستعداد للتحرك فى ظروف ساعتين إلى منطقة الجفجافة - وادى المليز ، على أن يبدأ عبور قناة السويس من كوبرى الفرادن فى الساعة الثانية ليلا للعمل كمقدمة للمجموعة الأولى المدرعة قيادة العقيد طلعت حسن على على المحور الأوسط - الإسماعيلية شرق أبو عويقيلية ٠

ونصت الأوامر أيضًا على تأمين قاعدة فى وادى المليز ، لتتجمع فيها المجموعة الأولى المدرعة ؛ توطئة للقيام بالأعمال التعرضية ضد قوات العدو وطبقًا لتطور الموقف ٠

وقد تلخصت خطة المقدم عطية ، بعد أن قام بتقدير موقفه طبقًا للمعلومات القليلة المتوفرة فيما يلى :

١ - دفع الأورطة الثانية استطلاع من القصاصين إلى الجفجافة ، لتلتف حول الجانب الأيمن للعدو فى صدر الخيطان من خلال وادى المليز ، حيث تتعاون مع مجموعة اللواء الثانى المشاه قيادة العقيد الشربينى ، فى القضاء على العدو بعملية هجومية من المواجهة والمؤخرة ٠

٢ - دفع باقى الألاى كمقدمة للمجوعة الأولى المدرعة على الطريق الأوسط ، حتى الجفجافة لتأمين قاعدة وطيدة للمجموعات هناك ٠

٣ - دفع أورطة استطلاع للعمل كمفرزة فى اتجاه الحسنة لتأمينها ·

وبهـــذا كان علـى وحـدات هذا الآلاى الموجودة بالقـصاصين وفايد ، أن تقـطع نحو ١٦٠ - ١٧٠ كيلو مـترًا لتصل إلى أهـدافها ، مع ما يتخـلل ذلك من عبور الـقناة فوق كوبرى الفردان ، كلما سمحت حركةالملاحة فيها باستخدام هذا الكوبرى ·

زحف قوات شارون :[٢٠]

تقع تبـة الكونتلا على رأس مـثلث طرق التمد - الـنقب - الكونتلا ، ويـعتبر وادى الجرافى طريق الاقتـراب الطبيعى من النقب الجـنوبى إلى الكونتلا حيث يـعبر حدود مصر الشرقية عند ثـميلة سويلمة ، ويستمر حتى هـضبة العجمة على السفوح الشمـالية لمرتفعات سيناء الجنوبية ·

وكان الهدف الأول للعقيد شارون هو الاستيلاء على نقـطة مراقبة الكونتلا التى يحتلها ١٠ أفراد من سلاح الحدود ، فبدأ يـهاجمها فى الساعة الـسابعة مساء ٢٩ أكتوبر بفـصيلتى دبابات (٨ دبابات) ، وبطاريتى مـدفعـية (١٢ مدفع ٢٥ رطـل) ، وعدة عربات مدرعة نصف جنزير ·

وبينما كانت مقـدمة لواء المظلات تجتاح نقطة المراقبة ، كان باقى عـناصر اللواء يعانى من تعطل عرباته فى بطن وادى الجرافى برماله الناعمة ، كما كانت الدبابات تستهلك الوقود بمعدلات عالية جدًا ، رغم وجود فناطيس الإمداد بالـوقود بعيدًا فى الخلف ، بما أجبر العقيد شارون على طلب إمداد قواتـه من الجو ، الذى رفضه العميد سمحونى لعـدم التحضير لمثل تلك العملية مسبقًا ·

وقد بذل العـقيد شارون ومعاونوه جـهدًا كبيرًا فى إعـادة تجميع قواته المبـعثرة ، وحل مشكلاتها الإداريـة والفنية المعقدة قبل أن يتـمكن من استئناف التحـرك صوب التمد · ولما يئس فى ساعة متأخرة من الـتغلب على تلك المشكلات ، اكتفى بإعادة تنظـيم كتيبة المقدمة فقط وانطلق بهـا نحو التمد كسبـًا للـــوقت ، بينما كلف أركان حربه بسـرعة تجميع باقى العناصر واللحاق به [٢١] .

وعند منتصـف الليل بدأت كتيبة المقدمة فـى التحرك نحو الموقع التعطـيلى ، الذى يقع غرب بئر الـتمد بنحو عشرة كـيلو مترات ، والذى كانت تحـتله الأورطتين ٥,٦ من الآلاى

الثانى سيارات الحدود ، فبدأت طلائعها تقترب من هذا الموقع التعطيلى فى الساعة الثالثة والنصف فجرًا ، بعد سير بالغ المشقة ، قطع خلاله خمسين كيلو مترًا .

ولما قابلت كتيبة المقدمة نارًا حامية من الموقع ، توقفت أمامه نحو الساعة إلى أن انسحب الموقع للخلف ليستأنف الدفاع هناك . وكان أمام العقيد شارون إما أن يهاجمه فيما بقى من ساعات الظلام ، أو أن ينتظر وصول باقى لوائه ليبدأ هجومًا مركزًا بقوات متفوقة ، الأمر الذى استغرق نهارا كاملا قبل أن يتمكن من شن هذا الهجوم الجديد عند أخر ضوء الغد .

وكان تأخير الهجوم بهذا القدر يتعارض مع الخطة المعتمدة بما يعرضها للفشل ، فلما وصلت باقى العناصر حوالى الساعة الخامسة فجرًا ، بادر شارون بمهاجمة الموقع الخلفى مستغلا وقوع أشعة الشمس فى أعين المدافعين عنها ، ومعتمدًا على تفوقه العددى بنسبة ٥ : ١ ، علاوة على توفر الدبابات والعربات المدرعة لديه وافتقار الموقع الدفاعى إليها .

وقد بدأ الهجوم فى الخامسة والربع إلا أنه عندما وصل إلى مسافة ١٥٠٠ متر من الموقع ، انهالت عليه نيران الرشاشات والهاونات التى أوقعت به بعض الخسائر ، فانتشرت دباباته على الجانب الأيمن ، بينما إلتفت عرباته المدرعة على الجانب الأيسر ، ثم فتح نيرانه الكثيفة على الموقع ، بينما تقتحم الدبابات الأسلاك الشائكة التى تحمى حزام الألغام على مواجهة الموقع .

وتحت ستر قذائف الدخان لتعمية المدافعين ، إقتحمت القوات المهاجمة الموقع بعد أن فقدت عربة مدرعة . وظل الموقع يباشر الدفاع بغاية الإصرار والصلابة فى وجه عدو متفوق لأكثر من ساعتين متواصلتين لم يهدأ القتال خلالهما لحظة واحدة ، حتى سقط أفراده جميعًا ، وهم يقبضون على أسلحتهم . والواقع إن الأورطتين ٦,٥ سيارات حدود أبديا من ضروب الشجاعة فى الدفاع عن موقع التمد الخلفى ما هو جدير بالإشادة به ، فلم تتوقف الأورطتان عن القتال حتى استشهد كل ضباطهما وأغلب جنودهما ، وهم يقاتلون دفاعًا عن موقعهم .

وعندما انتهى القتال فى التمد حوالى الساعة الثامنة صباح يوم ٣٠ أكتوبر ، حلقت بعض طائرات الميج المصرية فوق قوات العدو ، وأمطرتها بقذائفها التى حطمت ست عربات مدرعة وجرحت العشرات من الجنود .

وكان لتلك الغارة وقع شديد على معنويات العدو ، دفع العقيد شارون إلى تأجيل استئناف التقدم صوب نخل حتى يستخدم قوات جديدة فى مقدمة زحفه ، بدلاً من القوات التى أنهكتها المعارك ، ونالت غارات الميج من معنوياتها .

وبانتهاء العقيد شارون من موقع التمد ، لم يعد بينه وبين الانضمام على الكتيبة ٨٩٠ المظلات بصدر الحيطان إلا اجتياز دفاعات نخل . إلا أنه ما إن عقد العزم على استئناف التحرك صوبها حتى تعرضت قواته حوالى العاشرة صباحًا لغارة جوية ثانية ، كانت أشد عنفًا من الأولى بما دفعه إلى التفكير بتأجيل التقدم حتى يحل الظلام . وقد استغل هذه الوقفة التكتيكية فى تمهيد أرض هبوط للطائرات غرب بئر التمد بحوالى كيلو مترين لإخلاء جرحاه جواً [٢٢] .

وبينما القوات تنتظر ما يقرره قائدها ، راحت الاستغاثة تنهال عليه من الكتيبة ٨٩٠ مظلات بصدر الحيطان ، وما تتعرض له من غارات جوية مركزة ، وإقتراب قوات مصرية ضخمة من السويس . وكان طبيعيا أن تثير تلك المعلومات قلقًا بالغًا بين جنود اللواء بما دفع قائده إلى المخاطرة بالتقدم فى وضح النهار ، حتى يدرك الموقف المتدهور بصدر الحيطان . إلا أن سوء حالة مجموعة اللواء والبطء الشديد فى إعادة تجميعها ، أخَّر هذا التقدم من الساعة ١٢ إلى الساعة الثالثة والنصف عصراً .

وبمجرد أن انتظم الرتل على طريق نخل ، تعرض لغارة جوية ثالثة من الطائرات الفامبير أنزلت به عدة خسائر ، وعطلت تقدمه فترة أخرى فعمد العقيد شارون إلى زيادة الفواصل بين عناصره لتفادى الضرب الجوى المصرى ، الأمر الذى أدى إلى انتشار الرتل على مسافة ٣٠ كيلومتراً .

وقبيل الخامسة عصراً بدقائق ، ظهرت طلائع العدو شرق بلدة نخل التى كان العقيد شارون قد طلب قصف دفاعاتها من الجو ، ورغم أن الطائرات الإسرائيلية حلقت فوقها عدة مرات ، إلا أنها فشلت فى التعرف على المواقع المصرية التى أحسن جنودها إخفاءها وتمويهها فطلب شارون أن تتوجّة تلك الطائرات إلى صدر الحيطان لقصف القوات المصرية التى كانت تقترب وقتها منها [٢٣] .

وكانت القوة المدافعة عن نخل عندما وصلت اليها طلائع قوات العقيد شارون ، تحتل

نقطتين أماميتين وموقعاً رئيسياً فوق النقب التركى . ولم يكن إجمالى القوات المصرية يزيد على أربع فصائل من حرس الحدود مقابل ثمان سرايا ميكانيكية من ٢٤فصيلة من المظليين ، بما كفل لها تفوقاً عددياً بلغت نسبته ٦ : ١[٢٤] .

وبعد قصفه بنيران تمهيدية لمدة ربع الساعة ، اقتحمت سريتان ميكانيكيتان وبعض الدبابات النقطتين الأماميتين ،ثم تابع باقى القوة الزحف فاستولى على المواقع الرئيسى قبل غروب الشمس .

وكأنما كانت أشعة الشمس الغاربة سياطًا تلهب ظهور جنود شارون للإسراع نحو صدر الحيطان قبل ان يتفاقم الخطر الذى تتعرض له الكتيبة ٨٩٠ المظلات غير أنها لم تصلها إلا قبيل منتصف ليلة ٣٠/ ٣١ أكتوبر متأخرة عن التوقيت المحدد فى الخطة ، بنحو ست ساعات لتبدا قتالاً رئيسياً هناك فيما أطلق عليه اسم معركة ممر متلا .

معركة ممر متلا[٢٥]

لو قدر لأحد أن يخترق دياجير منتصف ليلة ٣٠/ ٣١ أكتوبر من فوق قمّة أحد مرتفعات جبل الحيطان لشاهد عجبًا .فبينما كانت مؤخرة اللواء ٢٠٢ المظلى تقترب من ناحية الشرق ، كانت مؤخرة مجموعة اللواء الثانى المشاة تقترب من ناحية الغرب ، وكأنهما على موعد للقاء سوف تراق فيه دماء كثيرة قبل أن ينفض عقده.

ولقد تميّزت معركة متلا بطابع فريد بما أحاطها من ملابسات ومفاجآت ، ونظراً لما انفردت به طبيعة أرضها من خصوصية ، باعدت بين شكل القتال الذى دار فيها وبين المعارك التقليدية المعهودة . وعلاوة على ذلك فقد اتسمت المعركة بالعنف الزائد على امتداد سبع ساعات ، لم ينقطع فيها التلاحم أويهدأ الصراع ، بما يجعلها أطول معارك حرب العدوان الثلاثى زمناً وأكثرها إهداراً للدماء[٢٦] .

وبمجرد أن ذر قرص الشمس فجر يوم ٣١ أكتوبر حدث أول اتصال بين اللواء ٢٠٢ المظلى ومجموعة اللواء ٢ المشاه ، بينما كانت المقارنة العددية بينهما تميل بشدة لصالح العدو الذى كان يتفوق فى عنصر المشاة بنسبة ٨ : ١ ، ويملك من الدبابات ما لاتملكة القوة المصرية.

وصف الأرض (٢٧)

ما ان يقترب مدق نخل من مدخل مضيق متلا الشرقى ، حتى تنكمش الأرض المنبسطة وتضيق مواجهتها كلما اتجهنا غربا إلى أن تنعدم تمامًا ، عند سلسلة المرتفعات الوعرة التى تلتقى عندها مجموعة المدقات الجبلية المتفرعة إلى الشط غرباً ونخل شرقا والحسنة شمالا بشرق ؛ بما يجعل لعقدة المواصلات هذه قيمة تكتيكية كبيرة تتيح لمن يسيطر على المرتفعات المجاورة لها التحكم فى تلك المدقات بصورة كاملة .

وتحف بممر متلا مرتفعات جبل أم خشيب فى الشمال ، وجبل الراحة فى الجنوب بطول عشرين كيلو متراً من مدخلة الشرقى عند تبة النصب التذكارى التى تشبة القمع ، وحتى مدخله الغربى عند بداية الطريق الإسفلتى الواصل إلى الشط .

ويشكّل مضيق متلا عنق الزجاجة على كامل امتداده بما لا يسمح بالانتشار خارج المدق ، الذى تكثر به المنحنيات الحادة ويترتب على تحرك الحملة الميكانيكية على أرضه الجيرية إثارة الغبار الكثيف الذى يعلق فى الجو ، لعدة دقائق ، تحجب الرؤية تمامًا ، وتكشف تلك التحركات من مسافات بعيدة .

وعلى مسافات متباعدة داخل الممر ، تتلاقى بعض الوديان التى تشكّل مساحات متسعة نوعا تشبة الصحن فى ثلاثة مواقع على مسافة ٦ و١٥ و٢٠ كيلو مترًا من تبة النصب التذكارى .

ثم تختلف طبيعة الأرض غرب المدخل الغربى للممر ، حتى قناة السويس ؛ إذ تخلو تمامًا من المرتفعات والمضايق ،وتغطيها الرمال الناعمة التى يخترقها طريق مرصوف يصل بين مدخل الممر وقرية الشط بطول نحو ٣٠كيلومترًا .

وإلى الجنوب من ممر متلا ، يبدأ مضيق وادى سدر ومرتفعات جبل الراحة مارا برأس الجندى التى أقام السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى فوقها مسجدًا وقلعة عام ١١٨٧ ميلادية ؛ بغرض القضاء على قراصنة الصليبين فى البحر الأحمر ، بعد أن استولى ريجينالد دى شاتيون أمير الكرك بشرق الأردن على خليج العقبة ، وميناء عيذاب المصرية المقابلة لميناء جدة ؛ ليهاجم المدينة المنورة ومسجد الرسول ﷺ ، وبعد أن قضى حسام الدين لؤلؤ حاجب صلاح الدين على أساطيل القراصنة الصليبيين ، أنشأ السلطان قلعتى الجندى وجزيرة فرعون لتأمين خليجى السويس والعقبة من خطر هؤلاء القراصنة .

تأثير طبيعة الارض على المعركة

بينما كانت الأرض الجبيلية تجربة جديدة لأغلب الجنود المصريين ، الذين جاءوا من أراضى الدلتا المنبسطة . . فقد كان الجنود المظليون متمرسون على القتال فيها ، ويتقنون تكتيكاتها وفنونها المختلفة . أما عناصر الآلاى الثانى استطلاع فكانت تلك الأرض الجبلية الضيقة هى آخر أنواع الأراضى التى تناسبها .

وبالإضافة إلى ما سبق . . فقد كان اللواء ٢ ٠ ٢ المظلى يملك كتيبة كاملة ، تحتل منطقة صدر الحيطان منذ مغرب يوم ٢٩ ، وقد درست الأرض بعناية ، وألمت بكل خصائصها وظواهرها الطبوغرافية ، وهو ما كانت تفتقر إليه بغاية الشدة مجموعة اللواء ٢ المشاه والآلاى الثانى استطلاع .

أمّا عن ضيق الممر الجبلى الذى يحفه جبلان مرتفعان . . فإنه لم يكن يسمح بالمناورة أو الحركة خارج المدق الوعر الذى يخترقه من الغرب للشرق ، بينما يجعل القوات التى تدخل فيه فريسة سهلة للهجمات الجوية التى سوف يزيد من شدتها طبيعة الأرض الصخرية ، وما سوف تضيفه شظاياها من دمار ، وتريقه من دماء .

ونظراً لكثرة التعاريج ، فإن فتح واستخدام المدفعية داخل الممر يصبح أمراً متعذراً إن لم يكن مستحيلاً مثلما هو الحال مع نيران الأسلحة الصغيرة ؛ نظراً لقصر زمن تعرض الأهداف قبل أن تختفى فى الانحناءة التالية ، علاوة على كثرة الأراضى الميتة نتيجة الثنايا الأرضية واختلاف التضاريس .

ثم إن انتشار الصخور يجعل التجهيزات الهندسية وأعمال الحفر بالغة الصعوبة ، بينما يترتب على إقامة المتاريس من الأحجار والصخور انتشار الشظايا الحادة التى تسبب الكثير من الخسائر . وإلى جانب ذلك . . فإن استمرار إمداد القوات الموجودة داخل الممر بمطالبها من الذخيرة ومواد الإعاشة ، وكذا إخلاء جرحاها وعتادها العاطل يعتبر مهمة شاقة وبالغة التعقيد .

وما تثيره المعركة المحتدمة داخل المضيق من أتربة ودخان ، يظل عالقاً فى الهواء الساكن مدداً طويلة نسبياً ، سوف يعطى المهاجم فرصة الحركة والهجوم فى خفية من

المدافعين . ويكشف كل ماسبق كيف أن الدفاع داخل الممرات الجبلية يحتاج إلى قوات متمرسة عليه ، وهو ما لم يكن متوفرًا لمجموعة اللواء الثانى المشاه بأى قدر .

خطة الشربينى للدفاع عن الممر (٢٨)

وصل العقيد الشربينى إلى مقر قيادة الفرقة الثانيه المشاه بالشلوفة عصر يوم ٣٠ أكتوبر ، حيث ابلغ قائدها اللواء أركان الحرب محمود محمد السرساوى بما تتعرض له مجموعة اللواء الثانى المشاه من مشاق بسبب وعورة أرض الممر وشدّة غارات العدو . وطلب توفير حماية جوية فعالة لقواته ، مع تزويدها بمدفعية مضاد للطائرات ، ووسائل اتصال لاسلكى لتعويض ما دمرته طائرات إسرائيل .

وبعودة العقيد الشربينى إلى متلا ، انتهز فترة الهدوء التى أعقبت غارات الطائرات المصرية على مواقع العدو بصدر الحيطان ، فجمع ضباطه قبيل المغرب ليصدر اليهم أوامره ، إلا أن طائرات العدو قطعت عليه مؤتمره وأمطرت قواته بنيرانها من الشرق للغرب ، فدمرت تروب الهاون الثقيل ١٢٠ ملليمتر ، ثم استمر نشاط الطائرات المعادية فوق القوات المصرية حتى حل الظلام .

وكانت مجموعة الكتيبة ٥ المشاه بقيادة المقدم طلعت الألفى ، المكونة من سريتين مشاه ، وفصيلة وتروب هاون ، قد وصلت وقتئذ الى المدخل الشرقى للمر ، واحتلته بسرية مشاة حول تبة النصب التذكارى ، وسرية وفصيلة أخرى على المرتفعات الواقعة شماله . أما مجموعة الكتيبة السادسة المشاه . . فلم يكن قد وصل منها بعد إلا سرية واحدة ، احتلت موقعها غرب الكتيبه الخامسة مباشرة ، وعلى امتداد السفح الجنوبى لمرتفعات أم خشيب ، أما السرايا الثلاث الباقية فكانت اثنتان منها قد دخلتا الممر فى طريقهما إلى مخرجه الشرقى ، بينما ينتظر جنود السرية الباقية - عند المدخل الغربى - وصول الحملة التى سوف تنقلهم إلى الشرق .

وخلال ساعات المساء ، بدأت مجموعة اللواء فى التحول للدفاع بعد أن فقدت معظم عربات الذخيرة واللاسلكى والهاونات والتعيينات بفعل الغارات الجوية الكثيفة ، التى دمرت النقطة الطبية لمجموعة اللواء أيضًا ، رغم علامة الهلال الأحمر الكبيرة التى ترتفع فوقها .

وقام العقيد الشربينى بتعديل مواقعه وتنظيمها على جانبى الممر بعمق ثلاثة كيلو مترات ، فاحتلت مجموعة الكتيبة الخامسة المشاه موقعها الدفاعى بسريتين فى نسق واحد على كلا جانبى مدخل الممر ، خلف النصب التذكارى بحوالى ٥٠٠ متر ، الذى كانت قد اضطرت إلى الانسحاب منه لوجوده فى منطقة مكشوفة شديدة التعرض للغارات الجوية . وقد أدى هذا الانسحاب إلى فقد الاتصال المباشر بالعدو ، أما الكتيبة الأخرى ، وهى السادسة المشاه ، فقد انتشرت ثلاث سرايا منها فى مواقع دفاعية فى عمق الممر ، بينما استمرت السرية الرابعة تنتظر العربات التى لم تأت أبداً .

ولما لم تكن طبيعة الممر الحجرية تسمح بحفر خنادق أو أوكار أسلحة ، فقد عمد الجنود إلى إقامة المتاريس فوق قمم التلال وعلى سفوحها ، مع الاستفاده من الثنيات والكسور والفوالق الطبيعية على أفضل الوجوه .

ودفع العقيد الشربينى فصيلة استطلاع أمام مواقعه الدفاعية ؛ حتى يعيد الاتصال المباشر بالعدو ، ولترصد أوجه نشاطه وتداوم على إخطاره عنها .

المحاولة الاولى لاقتحام الممر :[٢٩] (انظر الخريطة رقم ٨)

ساعدت حالة الطريق من نخل إلى صدر الحيطان على وصول قوات اللواء ٢٠٢ المظلى فى تشكيل مسير منتظم دون إرهاق زائد . وبمجرد انضمامها الى الكتيبة ٨٩٠ مظلات قبيل منتصف الليل ، تحوَّل الموقف فجأة لصالح العدو .

ولتو ، عقد شارون مؤتمرًا استهله المقدم روفائيل إيتان قائد الكتيبة ٨٩٠ مظلات بالزعم بأن القوات المصرية الموجودة بالممر قد أبيدت عن بكرة أبيها بالغارات الجوية العنيفة ، وبناءً على تلك المعلومات الخاطئة قرر شارون الهجوم فوراً إلاَّ أن إجراءات تنظيم المعركة إلى جانب انتشار القوات وإجهادها ، استدعت تأجيله حتى الساعة الرابعة فجر يوم ٣١ أكتوبر .

وفى الساعة الثالثة والربع فجراً ، تلقى شارون إمدادات جويَّة من طائرات النقل الفرنسية كانت تشتمل على ذخائر ووقود ومياه وطعام . وبمجرد توزيعها على القوات ، بدأت فى التقدم نحو تبة النصب التذكارى ، إلاَّ انه لم يمر ربع ساعة حتى وصل أمر الأركان العامة الإسرائيلية بوقف الهجوم والعودة إلى المواقع الدفاعية فى الخلف .

وبانتشار ضوء الصباح يوم ٣١ أكتوبر ، قامت الطائرات المصرية بشن غارة على العدو بصدر الحيطان ، إلا أنها ما كادت تستدير للعودة إلى مطاراتها حتى فاجأتها طائرات الميتور والمستير فتمكنت من إسقاط طائرتين من الطائرات الفامبير الأربع ·

وبمجرد انتهاء هذه المعركة الجوية قام العقيد شارون باستطلاع منطقة صدر الحيطان فى ضوء النهار ، فاتضح له أن مواقعه لا تصلح للدفاع لوجودها فى أرض منخفضة عما يجاورها ، لاسيما وأن مرتفعات المدخل الشرقى الذى تحتله سرايا الكتيبه الخامسة المصرية ، كانت تشرف عليها وتتحكم فيها بالنظر والنيران ·

المحاولة الثانية :[٣٠]

وبينما كان العقيد شارون يقلّب النظر فى أفضل الحلول للخروج من هذا الموقف السيء ، وصلته معلومات من الاستطلاع الجوى عن وجود حشد مدرع فى وادى المليز على بعد ٥٠ كيلومترًا من صدر الحيطان لا يقل عدده عن ٨٠ دبابة · وكان وقع هذا الخبر شديدًا على شارون الذى أسقط فى يده ، وتوقع أن تتعرض قواته للإبادة وهى متمركزه فى منطقة مفتوحة ·

ولم يجد شارون من حلٍّ إلاَّ دخول الممر للتحصّن فيه من خطر الدبابات المصرية ، التى لن تستطيع القتال فى تلك المنطقة الصخرية الضيقة · وبعد أن اقتنع بأنه لا يملك حلاً غيره ، طلب من العميد سمحونى - قائد المنطقة العسكرية الجنوبية - أن يصدق له على دخول الممر ، إلا أن الأركان العامه الإسرائيلية رفضت ذلك ؛ حيث كان عدم قيام القوات الجوية الأنجلوفرنسية بالضربة الجوية الشاملة ضد الغطاء الجوى المصرى صباح يوم ٣١ طبقاً لاتفاقيات التواطؤ قد أثار قلق الحكومة الإسرائيلية بما دفعها إلى إصدار أمرها بوقف الأعمال القتالية والاستعداد لسحب كافة القوات الى داخل إسرائيل ·

إلا أن خطر التعرض للإبادة كان أقوى فى موازين شارون من خطر نكوص الحلفاء عن تحقيق وعودهم ، فظل يصر على التصديق له بدخول الممر ، حتى أرسل له العميد سمحونى رئيس أركانه لدراسة الموقف على الطبيعة ، والذى وصل فى الساعة الحادية عشرة صباحًا فى طائرة مواصلات صغيرة ، هبطت بعد ربع ساعة من انتهاء غارة جوية عنيفة · وبعد مناقشة الموقف ودراسة الأرض ، تقرر السماح لشارون بدفع دورية استطلاع مسلحّ للتأكد من خلو الممر من القوات المصرية ، على ألا تتورّط فى قتال رئيسى داخله[٣١] .

وفى نفس هذا الوقت تقريبًا وكانت طلائع الالاى الثانى استطلاع مدرع المكونة من تروب ناقلات مدرعة تقترب من منطقة صدر الحيطان من جهة الشمال ، إلا أن هذه القوة الصغيرة غير المدعمة بأسلحة ثقيلة أو دبابات لم تفعل شيئا أمام عدو ، يتفوّق عليها فى العدد والنيران تفوقًا كبيرًا . وظل قائد الآلاى يراقب العدو لأكثر من ساعتين حتى شاهد رتلاً من الدبابات الإسرائيلية طراز أ٠م ٠إكس - ١٣ تقترب وتبدأ فى الفتح الذى لم تكد تتمه ، حتى عادت إلى التجمع فى رتل مسير ، وانسحبت غربًا فى اتجاه صدر الحيطان ، دون أن تجرى أى اشتباك مع طلائع الآلاى الثانى استطلاع مدرع .

وعند الظهر تحركت قوات شارون فى رتل مسير من حرس أمامى ، قوامه سرية ميكانيكية فى عربات نصف جنزير ، ومعها عنصر استطلاع وفصيلة دبابات ، وجاءت على أثره القوة الأساسية المكونة من كتيبة مظليين عدا سرية ، وبطارية هاون ثقيلة ١٢٠ ملليمترا . كما استعد باقى اللواء ٢٠٢ المظلى للتقدم بمجرد النجاح فى اقتحام مدخل الممر ؛ ليستثمر قوة الاندفاع ، وكان تصرف العقيد شارون على هذا النحو خروجًا كاملاً على تعليمات العميد سمحونى واللواء موشيه ديّان رئيس الأركان العامة ، الذى انتقد هذا العمل من شارون فى كتابه يوميات معركة سيناء ، ووصفه بالخروج المتعمد عن الأوامر الصريحة .

الهجوم الأول على الممر (فيما بين الواحدة والثانية والنصف من بعد ظهر ٣١ أكتوبر) :[٣٣]

انتظمت قوة الهجوم سالفة الذكر حوالى الساعة الواحدة إلا ربعًا ، ثم بدأت فى التقدم فمرت بالنصب التذكارى فى الساعة الواحدة . وعندما اقتربت من مدخل الممر ، فتحت عليها نيران الجحيم التى دمرت ثلاث عربات نصف جنزير ، منها عربة قائد سرية الحرس الأمامى الذى قتل للتو واللحظة ، بينما اندفعت عربة قائد المقدمة الرائد مردخاى جور نحو منحدر جانبى ؛ حيث استقرت فى إحدى الحفر وسرعان ما غادرها جور ليبحث لنفسه عن ساتر يقيه تلك النيران الحامية .

وقد كانت نيران الكتيبة ٥ المصرية عنيفة بقدر ما كانت مفاجئة ، فلم تترك للعدو مفرًا من مواصلة الاندفاع للأمام بكل سرعة ، حيث لم تكن هناك أية مجالات للتوقف أو العودة نظرًا لزاوية الصعود الحادة وهكذا توالى عبور الدبابات لمنطقة القتل المغمورة بالنيران المحكمة

التصويب دون أن يمسسها سوء ، أما عربات الجيب والنصف جنزير فقد تحملت الكثير من الخسائر والتدمير .

وعندما حاولت القوة الأساسية للواء المظلين نجدة سرية الحرس الأمامى ، كانت العناصر الأمامية لقوات الكتيبة ٥ المصرية قد اقامت سدًا نيرانيًا كثيفًا عند مدخل الممر الشرقى أوقع بتلك القوة الاساسية بعض الخسائر ، وأجبرها على التوقف وهى عاجزة عن الحركة ، وقد شاعت الفوضى بين صفوفها .

وهكذا فقد الرائد جور سيطرته تماماً وظل قابعا فى حفرة على جانب الطريق ، حجبت عنه رؤية المحنة التى يتعرّض لها جنوده داخل الممر ، وكأنما كانت نيران الكتيبة ٥ المصرية سياطا تلهب ظهور هؤلاء الجنود ، ليزيدوا من سرعة اندفاعهم غربًا .

عندما وصل المظليون إلى مسافة ٣ كيلو مترات من مدخل الممر ، شعروا بأنهم أصبحوا معزولين عن إخوانهم ، كما أدركو أن قائد سريتهم غير موجود بينهم ، فتوقف رتلهم عن الحركة ، وتحوّل إلى صيد سهل للنيران التى غمرتهم من كل حدب وصوب . وأسرع المظليون بالقفز خارج العربات للالتجاء الى السواتر والسفوح ، بينما أستمرت دبابتان فى إطلاق مدفعيهما عشوائياً .

وفى الساعة الثانية عصرًا كانت القوات الإسرائيلية المهاجمة قد انشطرت الى قسمين منفصلين ، قد تبعثر كل واحد منهما عند طرفى الموقع الدفاعى للكتيبة الخامسة المصرية وأصبحا عاجزين عن الحركة أو التصرف .

وحوالى الساعه الثانية والربع ، وصل مندوب من المقدم إيتان الى العقيد شارون ليشرح له الموقف السيء الذى توجد فيه كتيبته ، وأنها لم تعد تستطيع التقدم أو الانسحاب ، وقد تتعرض للإبادة ما لم تدركها النجدة العاجلة .

وأصدر شارون أوامره بفتح كل مصادر النيران المتيسرة على المواقع المصرية ، إلا أنها لم تصوب ضد أهداف محدده فكانت عبثاً لاطائل من ورائه ، دفع شارون إلى إيقاف القتال فى الساعة الثانية والنصف .

وهكذا منى الهجوم الأول على الممر بالفشل ، وكمحاوله لإنقاذ قواته اتخذ شارون قراراً خاطئاً لتعزيز هذا الفشل ، وكأنما غاب عنه أنه دخل الممر ليحتمى به من احتمال خطر

الدبابات المصرية الموجودة على مسافة ٥٠ كيلو متراً منه ، فإذا به يورط تلك القوات فى موقف خطير ، تحف به أخطار الإبادة من كل جهة .

الهجوم الثانى على الممر (فيما بين الثالثة والرابعة من بعد الظهر)[٣٤]

تلخّصت خطة العقيد شارون هذه المرّة فى تركيز أكبر حشد من النيران ، فوق تباب مدخل الممر مع إشراك المدافع المضاده للدبابات عيار ١٠٦ ملليمتراً فى الضرب المباشر على سفوح التلال ، قبل مهاجمتها بقوات جديده من جهة الشمال للاستيلاء على القمم أولاً ، قبل النزول إلى السفوح مع تطهيرها أولاً بأول ، ولما تأخرت الطائرات الإسرائيلية عن موعدها فى قصف المواقع المصرية ، قرر شارون أن يبدأ الهجوم الساعة الثالثة ؛ حتى يستفيد بما بقى من ضوء النهار.

وتحت ستر نيران المدافع والدبابات والرشاشات ، تقدمت سرية استطلاع اللواء مع سرية مظليين ، فى محاوله لارتقاء سفح التبة الشمالية لمدخل الممر ، حيث كانت تحتلها السرية الرابعة من الكتيبة الخامسة ، ولم تكد القوات الإسرائيلية تصل إلى منتصف التبة حتى اضطرتها النيران المحكمه من السفح الجنوبى للممر إلى الارتداد بغير نظام.

وفى الوقت نفسه كانت كتيبة مظليين أخرى من ثلاث سرايا تلتف حول المرتفعات الشمالية للممر لترتقى قممها التى كانت تحتلها أربع سرايا مصرية وبينما ارتد الجزء الأكبر من المظليين ليحتموا بالسفح الخلفى للمرتفعات ، واصل قسم صغير منهم الهبوط ومحاولة البحث عن مخرج فى الجدار الحجرى شبه القائم ، إلا أن النيران المحكمة التصويب ظلت تلاحقهم حتى أبادتهم تماماً .

ثم جاءت أربع طائرات متيور ، تحرسها أربع طائرات ميج ، فانقضت على امتداد الممر من غربه حتى شرقه ، حيث راحت تقصف المظليين من ارتفاع منخفض ، ثم انثنت إلى القوة الإسرائيلية المتورطة عند المدخل الشرقى ، فألقت عليها قنابلها وصواريخها لتنشر الفوضى والدمار فى صفوفها .

وفى تلك اللحظات الحاسمة ، وصلت بعض الطائرات الأوراجان الإسرائيلية التى كان العقيد شارون قد ألح فى طلبها ، إلا إنها عندما شاهدت الطائرات المصرية ولت هاربة.

ونتيجة ذلك الفشل المتلاحق والخسائر المتزايدة ومع إقتراب الظلام ، لم يجد شارون

مفراً من أن يأمر جميع جنوده داخل الممر بالانسحاب ، بمجرد أن تغرب الشمس . أما القوة المنعزلة داخل الممر فقد تركت عرباتها ومعداتها ، وحاولت أن تشق طريقها بأسلحتها الشخصية على جانب الممر ، فلما تعرضت لنيران الدفاعات تبعثر أفرادها على سفوح الجبال ، وصار كل واحد منهم ونفسه .

وهكذا انتهى الهجوم الثانى بالفشل الذريع الذى تحدث عنه الجنرال موشيه ديان فى كتابيه يوميات معركة سيناء ، وقصة حياتى ، فكال للمظليين الانتقادات العنيفة لخروجهم عن أوامره أولاً ، ثم فشلهم فى اقتحام الممر مرتين متتاليتين ، وما وقع خلالهما من خسائر لم يكن لها داعٍ .

الهجوم الثالث والاخير[٣٥] (فيما بين الساعة الخامسة واربعين دقيقة والساعة الثامنة مساءً)

التقط المظليون أنفاسهم فيما بين الساعة الرابعة والخامسة والربع ، وأعادوا تنظيم قوتهم بينما الظلام يزحف على المنطقة . وعلى الجانب المقابل ، كانت معنويات جنود مجموعة اللواء الثانى المشاه قد بلغت عنان السماء نتيجة النجاح المتوالى فى صد العدو ودحره ، إلا أن موقف الذخيرة والمياه كان قد بلغ درجة الحرج لاستحالة الإمداد بهما داخل الممر ، الذى تنتشر به فلول العدو . وتقصفه طائراته بعنف شديد بين الفينة والفينة ، فلا تترك فرصة لهدف متحرك أن يتم مسيرته .

وجمع شارون مساعديه ليضع خطة جديدة لاقتحام الممر . كان ابرز مشتملاتها الآتى :

دفع قوة هجوم من أربع سرايا معززة فى مجموعتين ، كل من سريتين ؛ لمهاجمة الموقع الشمالى عند مدخل الممر ، بينما تقوم سرية واحدة بصعود المرتفعات من جهتها الشمالية ؛ لتنقض على الموقع المصرى من جهة الغرب ، بينما تهاجمه باقى القوات من الجنوب .

واعتمدت الخطة بالدرجة الأولى على حسن استغلال الظلام الذى سوف يحرم المصريين من إحكام نيرانهم ، فضلاً عن استحالة تحقيق التعاون الوثيق بين قواتهم المتمركزة على جانبى الممر ، وهو الأمر الذى كان السبب الرئيسى فى فشل الهجمتين السابقتين ، وما نزل بهما من خسائر كبيرة .

وفى الساعة الخامسة وأربعين دقيقة استأنف المظليون الهجوم طبقًا للخطة التى رسمها شارون ؛ فانقضوا على المواقع الدفاعية من عدة اتجاهات فى وقت واحد . وكان أغلب هؤلاء الجنود قد سبق تدريبهم على القتال الليلى الذى لم تتح الفرصة للمصريين ؛ لممارسته من قبل فوفّر لهم ذلك ميزة كبيرة أحسن المظليون استغلالها لأقصى حد.

ورغم ذلك فقد صمد الجنود المصريون واستماتوا فى التشبّث بمواقعهم ، فتحولت المعركة إلى قتال متلاحم إستخدمت فيه الأسلحة الصغيرة والسونكيات والقنابل اليدوية ، وأسرف المظليون فى استخدام النابالم ، ثم اشتبك الجميع بالأيدى من حفرة إلى حفرة ، قبل أن تضعف كثافة النيران ويقل ضجيج المعركة ، حتى هدأت تماماً فى الساعة الثامنة ، عندما خيم السكون على الممر بأكمله .

وتحت ستر الظلام راح المظليون يسحبون قتلاهم وجرحاهم من فوق السفوح وخلف كتل الأحجار ، ثم جاءتهم أربع طائرات داكوتا أمدتهم بالذخيرة والوقود والمياه ، ثم أخلت ما يزيد على المائة جريح .

كوابيس المعركة :

وبينما كان العقيد شارون يعيد تنظيم لوائه ويحكم عليه سيطرته ، كان العقيد الشربينى قد رجع الى موقع الشط بعد أن تحطمت أجهزته اللاسلكية ، حيث راح ينقل لقيادته صورة سوداء لا علاقة لها بما كان يحدث فعلاً فى أرض المعركة ، ثم ختم تخيلاته بأن مجموعة اللواء قد أبيدت عن بكرة أبيها .[٣٦] وبعد أن نفدت الذخيرة وتحطم أغلب الأسلحة والمعدات ، ونال منهم الجوع والعطش لم يجد الجنود سبيلاً إلا الانسحاب من الممر والعودة إلى منطقة الشط سيراً على الأقدام ، الأمر الذى استغرق منهم كل ما بقى من ليلة ٣١ أكتوبر / ١ نوفمبر ونهار الغد .

أما مجموعات السرايا المكلفة بقفل المدخل الغربى لممر متلا . . فقد ظلت فى مواقعها ، وهى أشد تصميماً على أداء واجبها بكل شرف وتضحية .

شارون يواجه خطراً جديداً :[٣٧]

منذ الساعة العاشرة والنصف ليلاً لم تنقطع بلاغات قيادة المنطقة الجنوبية عن احتمال وصول الدبابات المصرية إلى منطقة صدر الحيطان ؛ لتثير قلق العقيد شارون وقواته التى لم

يعد فى استطاعتها أن تخوض معركة أخرى . إلا أن الذى وصلها فعلاً كان عدة دبابات أ٠م٠إكس قادمة من نخل بعد إصلاحها ؛ مما رفع من معنويات الجنود الذين أسعدهم قبلها سماع الأخبار ببدء الطائرات الأنجلوفرنسية ضرب مصر منذ آخر ضوء

أما حقيقة أمر تلك البلاغات القادمة من قيادة المنطقة الجنوبية . . فكانت على عكس ذلك على خط مستقيم . فعناصر الآلاى الثانى استطلاع مدرع كانت قد عادت إلى منطقة الجفجافة حوالى الساعة الحادية عشرة مساء ، كما وصلتها قبل ذلك بقليل المجموعة الثانية المدرعة بقيادة العميد إبراهيم كامل الموجى ؛ حيث تلقى أمراً بالعودة إلى الإسماعيلية قبل أول ضوء ١ نوفمبر٠

وعلى الرغم من زوال احتمالات الخطر . . فقد جمع شارون ضباطه قبل أول ضوء ١ نوفمبر ، ووقف فيهم خطيباً ينذر باحتمال التعرض للفناء الأكيد ، إذا ما تقاعس أحد منهم عن تنظيم دفاعه وتنفيذ أعمال الحفر والإخفاء ،والتمويه وضبط أقواس النيران على أفضل الصور الممكنة ٠

وقد امكن تنظيم دفاعات مجموعة اللواء ٢٠٢ المظلى خلال نهار ١ نوفمبر على الشكل التالى :[٣٨]

مجموعة سريتين مدعمتين تحتل المدخل الشرقى للممر ، عند تبة النصب التذكارى لمواجهة أى تهديد يأتى من ناحية الممر ٠

مجموعة سريتين أخريين مدعمتين ببعض الدبابات والأسلحة المضادة للدبابات ، تحتل موقعاً شمال تبة تقاطع الطرق ؛ لمواجهة أى تهديد يأتى من ناحية الجفجافة ٠

مجموعة من سريتين فى عربات نصف جنزير مدعمتين ببعض الدبابات ، تتمركز فى أحد الوديان العميقة جنوب شرق تبة التقاطع ؛ للعمل كاحتياطى عام لمجموعة اللواء بمهمة الهجوم المضاد ، فى أى من الاتجاهين سالفى الذكر ٠

هل كانت المعركة ضرورية ؟

وهكذا انتهى القتال على المحور الجنوبى ، وتوقفت نيران معركة متلا التى حكم التاريخ أن الجانبين المتحاربين لم يكونا فى حاجة إليها واقعياً :

١ - فإسقاط المظليين عند المخرج الشرقى للممر لم يكن المطلوب منه سوى خلق الذريعة لإصدار الإنذار الأنجلوفرنسى بالتدخل لحماية الملاحة بالقناة ، وقد أدى الإسقاط الغرض منه وصدر الإنذار فى الساعة السادسة مساءً ٣٠ أكتوبر ؛ فلم يعد من مبرر بعده لخوض قتال ما فى المنطقة .

٢ - ورغبة القيادة المصرية فى إبعاد أى خطر عن القناة ، كانت سوف تتحقق بدرجة كافية فيما لو اكتفت بقفل المدخل الغربى للممر ، لا سيما وأنه يبعد نحو ٣٠ كيلومتراً عن القناة ، وهى مسافة كافية تماماً لحمايتها من أخطار أية أعمال قتالية قد تعرض الملاحة فيها للتوقف ، هذا علاوة على أن القيادة الإسرائيلية لم يكن من أهدافها فعلاً التعرض للملاحة فى القناة ، أو الوصول واقعياً إلى ضفتها الشرقية .

تداعيات موقف الشربينى :[٣٩]

كان من احرج المواقف التى تعرضت لها مجموعه اللواء الثانى المشاة أثناء القتال تصرفات قائدها وبلاغاته المثيره والمغايرة للحقيقة ؛ اذ سببت ارتباكاً شديداً للقيادة الشرقية . فإلى جانب فشله فى فرض السيطرة على وحداته المرؤسة ، بعد أن فقد وسائل الاتصال اللاسلكى بها نتيجة غارات العدو ، فقد ترك قواته وهى فى معمعان المعركه المحتدمة ، بمجرد ان شاهد بعض عربات العدو تمرق فى المضيق فأسرع إلى نقطة الشط ؛ حيث أبلغ القيادة المتقدمة للفرقة الثانية المشاه بالشلوفة أن العدو قد اكتسح الممر بدباباته .

والواقع أن القائد لا يحق له ابتداءً أن يترك مكانه من المعركة لمثل هذه الأمور ، التى يكفى إيفاد ضابط اتصال لتوصيل المعلومات التى يرغب فى إبلاغها للمختصين . كما أن القائد ينبغى أن يكون أكثر ضبطاً لأعصابه فى المواقف المعاكسة فلا يسرع باليأس ، وتخيل أن الكارثة قد حلت به ، فكثيراً ما يكون عدوه فى موقف أشد حرجاً من موقفه ، ولقد سبق لأسلافنا العرب الأبطال أن قالوا مأثورتهم الشهيرة ... " الشجاعة صبر ساعة " .

وترتيباً على هذا البلاغ الخاطىء ، أمر اللواء السرساوى قائد الفرقة فى الساعة الثانية وخمسة واربعين دقيقة عصراً بدفع سريتى مشاه - وقد كانتا القوة الوحيدة الباقية بمنطقة السويس - لقفل المدخل الغربى للممر ، على أن يتم ذلك قبل آخر ضوء .

وبمجرد أن تلقى اللواء على عامر قائد القيادة الشرقية نفس البلاغ من العقيد الشربينى ، أمر بدفع الكتيبة السابعة المشاه - الاحتياطى الوحيد بمنطقة الإسماعيلية لقفل الممر ، على أن يتولى قائد اللواء السابع المشاه بنفسه قيادة هذه الكتيبة نظراً للأهمية الفائقة للواجب المنوط بها .

ثم عاد العقيد الشربينى ، فأكّد لقائد الفرقة الثانية المشاه من أحد التليفونات بالشلوفة أن مجموعة اللواء الثانى المشاه قد أبيدت . . . وكان هذا البلاغ هو أغرب ما حدث فى حرب العدوان الثلاثى ، وأبعده عن الواقع .

وبناءً على هذا البلاغ المفاجيء والخطير ، واصرار قائد مجموعة اللواء الثاني المشاه على صحته ، أصدرت القيادة الشرقية - بعد مراجعة القيادة العامة - أمرها حوالى الساعة السادسة والنصف يوم ٣١ اكتوبر بدفع اللواء السابع المشاة بأكمله ، وكذا الآلاى الخامس المدرع ، والآلاى الثانى مدفعية الميدان لقفل المدخل الغربى لممر متلا ، ومنع العدو من اجتيازه ، أو الاقتراب من القناة ، على أن يفتح كوبرى الفردان لعبور هذه القوات بأسبقية أولى من الساعة الثامنة إلى العاشرة والنصف ، لتحتل مواقعها فى المدخل الغربى للممر ، قبل أول ضوء ١ نوفمبر .

وبينما القوات تسرع بالاستعداد للتحرك الفورى ، والقيادات تلهب ظهورها لبذل أقصى الجهود لتدارك الخطر الذى فغر فاه عند متلا ؛ إذ بأحد ضباط مجموعة اللواء الثانى المشاة يصل إلى الإسماعيلية فى الساعة السابعة مساءً قادما من الممر ؛ ليقدم تقريراً كاملاً عن الموقف كان ملخصه كالآتى :

١ - إن مجموعة اللواء ما زالت سليمة ومتماسكة ومستمرة فى قتال العدو عند المدخل الشرقى للممر ، رغم أن قائدها قد ترك جنوده وعاد إلى الشلوفة .

٢ - إن العدو لم يتمكن حتى هذه اللحظة من التغلب على الدفاعات المصرية ، وإن كانت بعض دباباته وعرباته المدرعه قد تسربت داخل الممر ؛ حيث اصبحت فى موقف لا تحسد عليه .

٣ - إن القوات الجوية الإسرائيلية تركز قصفها بغاية العنف على المدخل الغربى للممر ؛ لتمنع أية إمدادات وتحرم القوات المصرية الموجودة قرب المدخل الشرقى من الغذاء والمياه لتنهك قواها .

٤ - إن المظليين الإسرئيليين يسرفون فى استخدام النابالم فى مهاجمة المواقع المصرية .

وقبل أن ينهى الضابط تقريره الذى جعل القيادة الشرقية تعيد النظر فيما سبق أن أصدرته من أوامر بخصوص معركة متلا ، بدأت الضربة الجوية الأنجلوفرنسية ؛ فأنقلب الموقف السياسى الاستراتيجى فى مسرح الحرب رأساً على عقب .

التعليق :

لم يكن إسقاط الكتيبة ٨٩٠ مظلات فوق صدر الحيطان عملاً عسكرياً ، بقدر ما كان إجراءً تظاهرياً يفتعل موقفاً قتالياً غير حقيقى ؛ لاتخاذه ذريعة للتدخل الأنجلوفرنسى فى الأحداث .

ويتضح من النظرة الأولى للخطة الإسرائيلية على الاتجاه الجنوبى أنها كانت مسرفة فى الطموح ، بعيدة عن الحرص الذى تتسم به الخطط الإسرائيلية عادة . إلا أن اعتمادها على بدء التدخل الأنجلوفرنسى - اعتباراً من صباح ٣١ أكتوبر ، طبقاً لاتفاق بروتوكول سيفر - شجع الأركان العامة على أن تلقى بتلك الكتيبة على مسافة ١٨٠ كليو متراً داخل عمق سيناء ، ثقة منها بأن الأحداث الرئيسية التالية سوف تشغل القيادة المصرية عن متابعة الاهتمام بهذا الاتجاه الثانوى ، فضلاً عن تركيز المجهود الجوى الإسرائيلى طيلة يومى ٢٩ ، ٣٠ اكتوبر لحماية تلك الكتيبه ومساعدتها بالنيران .

ولضمان سرعة اندفاع القوات اللاحقة للانضمام برأ على هذه الكتيبة ، وقع اختيار الجنرال ديان على اللواء ٢٠٢ المظلى لكونه اكفأ وحدات الجيش الإسرائيلى وأكثرها خبرة وتدريبًا ، فضلاً عن ان العلاقات الشخصية التى تربط جنود الكتيبة المسقطة بباقى كتائب اللواء سوف تكون حافزاً اضافياً لسرعة الوصول إليها .

ورغم أن الاركان العامة حرصت على تلوين الصورة على أنها مجرد إغارة عميقة داخل سيناء للقضاء على اوكار الفدائيين فإن القيادة المصريه لم تنخدع ، بل أدركت حقيقة أمرها منذ الوهلة الأولى . إلا أن هذه القياده غالت فى اتخاذ التدابير المضادة لتلك الأعمال الثانوية ، فلم تكتف بقفل الممر من غربه ؛ حيث يبعد اكثر من ٣٠ كيلو متراً عن القناة ، وهى مسافة كافية لكشف زيف الادعاء الأنجلوفرنسى بتعرضها للخطر ، بل أمرت بسرعة

القضاء على القوات المسقطة شرق الممر ، فكان فى عملها هذا تحقيقًا لهدف التواطؤ من استدراج أكبر قدر من القوات المصرية داخل فخ سيناء ، قبل أن يطبق الغزو البحرى الأنجلوالفرنسى على مؤخرتها ، على امتداد قناة السويس ؛ ليعزلها عن قواعدها بالدلتا والصعيد .

وكان العامل المعاكس الذى اعترض نجاح خطة اللواء ٢ المشاه هو عملية عبور قناة السويس فى منطقة الشط ؛ إذ استمرت لأكثر من ١٦ ساعة للحرص على إعطاء الأسبقية الأولى لقوافل السفن . ورغم هذا التأخير الكبير فقد كان فى الامكان تنفيذ الهجوم فيما لو تم التحرك ليلاً ؛ حتى يتجنب تركيز العدو غاراته الجوية على قوات اللواء الثانى المشاه منذ الساعة ١١ صباح ٣٠ مع زيادة كثافتها وشدتها . وبمجرد أن دخلت تلك القوات الممر تحطم الكثير من أسلحتها وعتادها وقتلت وجرحت العشرات من الجنود الأمر الذى لم يكن ليحدث بتلك الشدة فيما لو استغلت مجموعة اللواء ٢ المشاه ظلام ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر لتتم التحرك مع إعطائها أسبقية العبور فى القناة .

ويظهر مما سبق أن تتابع الاحداث على المحور الجنوبى يوم ٣٠ اكتوبر ، قد تحكم فيه عاملان أساسيان هما :

١ - عجز وسيلة العبور البدائية (المعدية) عن تلبية مطالب مجموعة اللواء ٢ المشاه فى سرعة الانتقال إلى الضفة الشرقية للقناة .

٢ - دفع مجموعة اللواء داخل مضيق جبلى طويل ، خلال ساعات النهار ، دون توفير دفاع جوى مناسب له .

وليس من شك فى أن فكرة استخدام الآلاى الثانى استطلاع مدرع ، أو قوة دبابات من المحور الاوسط للالتفاف على قوة المظلات المتمركزة فى صدر الحيطان ، كانت توفر حلاً مثالياً تحت الظروف السائدة وقتها . ولو عكست القيادة الشرقية خطتها فجعلت هجومها من الجفجافة هو الرئيسى ، وهجومها عبر الممر هو الثانوى ، لتعرضت قوات شارون لخطر الإبادة الفعلية .

وفيما يتعلق بطبيعة الأرض فقد كان لوجود اللواء ٢٠٢ المظلى فى أرض مفتوحة باعث

للقلق الشديد لقائدها . وقد تعاظم هذا القلق ، عندما علم بوجود حشد من المدرعات المصرية على جانبه الأيمن بمنطقة الجفجافة ، بما دفعه إلى محاولة اقتحام الممر ليحتمى بالأرض الضيقة داخله ، رغم رفض قيادته التصديق على ذلك .

وأخيراً ، فقد اثبت القتال فى ممر متلا ان اجتياح الممرات الجبلية عملية بالغة الصعوبة ، تتطلب تحضيراً دقيقا وخططا محكمة ، مع تحقيق التفوق الجوى فوق أرض المعركة ، وطرد طائرات العدو بعيداً عنها .

ولا يصح نهو الحديث عن معركة ممر متلا ، دون ذكر أبطالها الذين كانت شجاعتهم مضرب الأمثال ، وعلى رأسهم الرائد محمود حسن فهمى قائد السرية الأولى من الكتيبة الخامسة المشاه ، الذى دأب على مناداة جنوده بأعلى صوت أن قاتلوا لآخر طلقة ؛ لتحيا مصر ، ولم يتوقف عن القتال حتى استشهد .

كما كان الملازم ثان عادل أحمد نصر قائد فصيلة استطلاع تلك الكتيبة ، مثلاً يحتذى للبطولة ، وعندما سقط مضرجاً بدمائه كانت آخر كلماته صيحة الله أكبر .

وظل الشاويش عبد المجيد عسكر يضرب مدفعه الرشاش الألفا ، حتى دمرته طلقة هاون مباشرة ، كما استشهد زميله الشاويش إدريس سليمان ، وهو رابض خلف مدفعه يصلى العدو نيراناً محكمة التصويب ، جندلت عدداً غير قليل من جنوده .

توثيق الفصل الرابع

(١) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٨٧ .

(٢) دار المحفوظات المركزية العسكرية (الملف ٢/٢٨٣ ، المسلسل ٥٢ ، كود ٣٧) أقوال الجندى الإسرائيلى الذى لجأ لمصر من جيش الدفاع الإسرائيلى ، واسمه دراشكوفيتش زدرانكر .

وأيضاً الملف رقم ٤٥٤ الجزء الأول ، أقوال البكباشى أركان الحرب / محمد طلعت الألفى - قائد الكتيبة الخامسة المشاة .

وأيضاً المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٣) المصدر السابق : مذكرات آرييل شارون ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٤) المصدر السابق : الملف ٤٥٤ الجزء الأول ، أقوال البكباشى أركان الحرب / محمد طلعت الألفى - قائد الكتيبة الخامسة المشاة .

(٥) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 488.

(٦) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٨٦ - ٨٨ .

(٧) Op.Cit.: Full Circle, p. 532.

(٨) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٨٧ - ٨٨ ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٩) المصدر نفسه : ص ٨٧ .

(١٠) المصدر نفسه : ص ٦٩ - ٨١ .

(١١) ايتان ، رفائيل : مذكرات الجنرال ايتان (عمان : دار الجليل للنشر ، ١٩٨٦) ، ص ٢٧ - ٢٨ .

وأيضًا هرتزوج ، حاييم : (الحرب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨ - ١٩٨٢ : القاهرة ، الطبعة الأولى ، سيناء للنشر ، ترجمة بدر الرفاعى) ص ١٤٠ - ١٤١ .

(١٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٠ - ١٤٢ . وأيضاً :

Chief Education Officer, I.D.F., The Sinai Campaign, (Tel–Aviv, 1967).

(١٣) المصدر السابق : مذكرات آرييل شارون ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, p. 153.

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 501.

(١٤) O'Ballance, Edgar : The Sinai Campaign (London, Faber & Faber, 1959), pp. 86–89.

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 501.

(١٥) المصدر السابق : مذكرات آرييل شارون ، ص ١٨٤ .

وأيضًا المصدر السابق : الحروب العربية الاسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص ١٤٠ .

(١٦) المصدر السابق : مذكرات الجنرال روفائيل ايتان ، ص ٢٨-٢٩ .

وأيضًا المصدر السابق : الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨ ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(١٧) دار المحفوظات العسكرية ، المصدر السابق ، الملف رقم ٦/٣٣٦ ، المسلسل ١١٣ ، كود ٣٧ .

(١٨) المصدر نفسه .

وأيضًا : Maarekhet Sinai (The Sinai Campaign), Tel Aviv.

(١٩) المصدر نفسه ، نفس الصفحات .

(٢٠) المصدر السابق ، مذكرات آرييل شارون ، ص ١٤٠ - ١٤٣ .

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 508–510.

(٢١) المصدر نفسه ، نفس الصفحات .

(٢٢) Op.Cit.: Elusive Victory, p. 170.

(٢٣) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 510.

(٢٤) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢٥) دار المحفوظات المركزية العسكرية ، المصدر السابق ، الملف رقم ٦/٣٣٦ ، المسلسل ١١٣ ، كود ٣٧ .

وأيضًا المصدر السابق : مذكرات الجنرال ايتان ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢٦) دار المحفوظات العسكرية ، الملف رقم ٤٥٤ ، الجزء الأول .

(٢٧) هيئة البحوث العسكرية (حرب العدوان على مصر : الجزء الأول ، القاهرة ، الباب الثانى ، طبوغرافية مسرح العمليات) ، ص ٦٥ - ٧١ .

(٢٨) دار المحفوظات العسكرية المركزية ، المصدر السابق ، الملف رقم ٦/٣٣٦ ، المسلسل ١١٣ ، كود ٣٧ .

(٢٩) المصدر السابق : مذكرات الجنرال ايتان ، ص ٣٠ .

(٣٠) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .

(٣١) المصدر نفسه : نفس الصفحات .

والمصدر السابق : Maarekhet Sinai, (Sinai Campaign) pp. 125–127.

(٣٢) Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 516–517.

(٣٣) المصدر نفسه : نفس الصفحات .

وأيضاً مجلة بمحانية الإسرائيلية ، العدد ١٣ ، أكتوبر ١٩٦٥ .

(٣٤) المصدر السابق : الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص١٤٢-١٤٥ .

(٣٥) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 516.

وأيضًا موشيه روز : مجلة القوات البحرية الأمريكية ، المجلد ٤١ ، سبتمبر ١٩٧٥ .

(٣٦) دار المحفوظات المركزية : المصدر السابق ، الملف رقم ٤٥٤ ، الجزء الأول .

(٣٧) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 516.

(٣٨) دار المحفوظات المركزية العسكرية : المصدر السابق ، الملف رقم ٤٥٤ ، الجزء الأول .

(٣٩) Green, Stephen : Taking Sides (New York : William Morrow, 1984), p. 146.

Op.Cit.: The Sinai Campaign, pp. 86–89.

الفصل الخامس

معـــركة أم قطف

مقدمة - هيكـــــــل الدفاع عن أم قطف - خـــطة الهجوم -الـــتشكيل للقتـــال -ملخص المعركة -القتال فى نـــــطاق الأمن -المناوشة التعطـيلية الاولى - المناوشة التعطيلية الثانية - المناوشة التعطيلية الثالثة والأخيرة - التقدم الى أم مطامر -وقفة تكتيكية حتى الصباح -جرعة حرب نفسية -بن آرى يعـبر المضيق -القتال حول التقاطع -إحكام الطوق حـول عنق الزجاجة - النجدة تحتاج إلى نجدة - معركة سد الروافعة - الموقعة الرئيسيةعلى الاتجـاه الأوسـط - لقاء فوق التل العريض -تعديل أوضاع الدفاع- وانفجر الموقف عند الفجر -لحظة فخار-الخروج من الحصار -عراك الأصدقاء - حسانين يقع فى الأسر مرتين - التعليق .

مقدمة :

لخّص الجنرال موشيه ديّان مستـوى الكفاءة القتالية للطرفين المتحاربـين فـى معركـة أم قطف بقـولـه " إنهـــا المكان الـذى قاتـل فيه المصريون عـلى أفضل وجه ، بينـما قاتل الإسرائيليون على أسوأ صورة[1] ، و على عكـس موقف قائد مجـموعة اللواء الثـانى المشاه المتخاذل فى معركة ممر متلا . . فإن قادة وجنود وحـدات أم قطف كانوا على مستوى المسؤلية فقد أبدى كل من المقدم مصطفى حسن الجمل قائد ألاى المدفعية ، والمقدمان على عبد الخبير ومـنير عبدالرحيم قائدا كتـيبتى المشاه ١٧، ١٨ مستوى رفيعاً من الكفاءة والـشجاعة ورباطة الجأش ، تجلت فى صمود الدفاعات ضد الهجمات الكثيرة المتفوقة ،كما تجلت أيضاً فى ذلك

الهجوم المضاد الناجح الذى تمكن من طرد القوات الإسرائيلية ، بعد أن نجحت فى التسرب داخل الدفاعات واحتلال جزء منها .

وتشكل منطقة أبوعويقلية -من وجهة النظر الطبوغرافية / قلب الأرض الحيوية التى يتوقف عليها الاستقرار والاتزان التعبوى للقوات المكلفة بالدفاع عن سيناء الشمالية ،ولهذا كانت منطقة تركيز الجهد الرئيسى للدفاع عن المحور الأوسط الذى يصل بين العوجة والإسماعيلية شرق .

وتتحكم منطقة أم قطف فى طريق العوجة -أبوعويقلية ،وفى طريق القصيمة -أبوعويقلية ،وكذا المدق التركى الذى يصل العوجة بالمغضبة .كما تشكل أم قطف عنق زجاجة يتحكم فى الطريق الرئيسى الى قلب سيناء ، إذ ترتكز على مانعين طبيعيين يصعب اجتيازهما ، هما : جبل ضلفة فى الجنوب ورمال مكسر الفناجيل الناعمة فى الشمال ، وإن كان تطور معدات النقل وخفة حركتها وقدرتها على اجتياز مختلف انواع الأراضى ، قد حد من قيمة هذا المانع الذى استخدمته القوات الإسرائيلية بعدئذ ، خلال جولة صيف ١٩٦٧لمباغتة دفاعات أم قطف من حيث لم تكن تحتسب .

هيكل الدفاع عن أم قطف :

خصص العميد أركان الحرب أنور عبد الوهاب القاضى ، قائد الفرقة الثالثة المشاه ، مجموعة اللواء السادس المشاه للدفاع عن منطقة أم قطف ، وكانت هذه المجموعة تتكون من رئاسة اللواء والكتيبتين ١٧ ، ١٨ المشاه ، والكتيبة ٢٨٩ المشاه الاحتياط عدا سريتين ، والألاى الثالث مدفعية الميدان ، والبطاريتان ٧٨ و٩٤ المضاده للدبابات ذاتية الحركة ، والأورطة الثانية الخفيفة ، والبطارية الأولى الخفيفة المضادة للطائرات ، وكتيبة الحرس الوطنى من اللواء ٢٣جيش التحرير الوطنى ، والتى لم تكن ذات قيمة قتالية تذكر.

وقد كلف العميد القاضى ، العقيد سامى يس بولس قائد مجموعة اللواء ، بالتشبث بالدفاع عن منطقة أم قطف ومنع اختراق العدو لها ،والقضاء على أية قوات معادية تسقط جواً أو تتسلل براً عبر وادى الجميل أو وادى الحريضين ، مع القيام بأعمال القتال التعطيلى فى منطقة القصيّمة على الجانب الجنوبى لأم قطف ، بواسطة الأورطة الثانية الخفيفة والأورطة الثالثة سيارات حدود وعناصر الحرس الوطنى، وكذا الاحتفاظ باحتياطى خفيف الحركة فى

منطقة سد الروافعة فى مؤخرة أم قطف ، لسرعة القضاء على أى قوات معادية تتقدم عبر وادى الجميل أو وادى الحريضين ، علاوة على تدمير القوات التى تهبط من الجو داخل المنطقة الدفاعية .

ونظراً لقلة القوات وضخامة مساحة المنطقة الدفاعية وكثرة طرق الاقتراب إليها . . فقد شكل العقيد بولس قواته فى نسق واحد ، واحتياطى ، وقوة ساترة ؛ فوضع الكتيبة١٨ المشاه وسرية من الكتيبة ١٧ فى يسار الموقع الدفاعى كمجهود رئيسى لمجموعة اللواء ، بينما وضع الكتيبة ٢٨٩ المشاه الاحتياط عدا سريتين فى يمين الموقع ، وتمركزت الكتيبة ١٧ المشاه عدا سرية فى سد الروافعة للعمل كاحتياطى عام لمجموعة اللواء[٢] .

ودفع العقيد بولس الأورطة الثانية الخفيفة ، ومعها الأورطة الثالثة سيارات حدود عدا تروب ، وكتيبة الحرس الوطنى للعمل كمفرزة متقدمة بمنطقة القصيمة . وقد أرسلت كتيبة الحرس الوطنى إلى عين الجديرات لتنظيم المراقبة والإنذار عن مدخل القصيمة من اتجاه جبال الريشة وطوال العين وجبل القصيّمة ، فضلاً عن قفل مداخل القصيمة الجنوبية والغربية[٣] .

خطة الهجوم :

تبلورت خطة (الألوف مشنيه) العقيد يهودا والاش ، قائد مجموعة العمليات ٣٨ ، المكونة من اللواء ٧ المدرع ، واللواء ٣٧ الميكانيكى ، واللوائين ٤ ، ١٠ المشاة ، فى شن الهجوم على دفاعات أم قطف على ثلاث مراحل كالآتى :[٤]

المرحلة الأولى :

ويتم فيها الاستيلاء على نقط الإنذار فى القصيّمة وطارة أم بسيس لتهيئة أفضل الأوضاع التكتيكية لفتح القوة الرئيسية للهجوم على قلب دفاعات أم قطف .

المرحله الثانية :

ويتم فيها اجتياح دفاعات أم قطف من عدة اتجاهات ؛ للوصول إلى الأرض المفتوحة فى مؤخرتها ؛ بهدف الاستيلاء على تقاطع الطرق الحيوى فى « أبو عويقيلة » .

المرحلة الثالثه :

ويتم فيها استغلال نجاح المرحلتين السابقتين بالانطلاق صوب العريش والإسماعيلية ؛

بهدف حجز القوات المصرية الموجودة فى سيناء الشرقية ، توطئة للقضاء المبرم عليها بالتعاون مع القوات الأنجلوفرنسية .

وخصص العميد عساف سمحونى قائد المنطقة العسكرية الجنوبية اللواء ١٠ المشاة كاحتياطى قريب للمجموعة ٣٨ ، واللواءات ٨ ، ١٦ ، ١٧ المشاة كاحتياطى عام للمنطقة الجنوبية .

التشكيل للقتال :

قرر العميد سمحونى تشكيل مجموعته فى مرحلتين - شكل الأولى منهما فى نسقين ، وذلك قبل التمهيد الجوى الأنجلوفرنسى الذى سبق الاتفاق ، على أن يبدأ فى أول ضوء ٣١ أكتوبر ، إلا أن المارشال الجوى دنيس بارنيت فضل أن يؤخره ، إلى آخر ضوء حيث لاتملك مصر مقاتلات ليلية لاعتراضه .

أما التشكيل للمرحلة الثانية فكان بعد وقوع هذا التمهيد الجوى ؛ حيث يشن سمحونى هجومه الرئيسى بأكبر قدر من المجموعة فى نسق واحد واحتياطى ؛ ليضمن تفوقها العددى الكاسح على قوة الدفاع .

وكان على مجموعة اللواء الرابع المشاه (كرياتى) قيادة الألوف مشنيه (عقيد) يوسف هاربز بعد أن تتجمع فى منطقتة عبدات - جبل القمر شرق القصيمة أن تتقدم ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر لتستولى على التباب العالية شرق القصيمة (مجموعة جبل الفالج) كمهمة مباشرة ؛ لتؤمن الطريق إلى نخل إذا ما استدعى الموقف بصدر الحيطان نجدة المظليين فيها .

كما كان على المجموعة أن تشترك فى المرحلة الثانية للهجوم على الدفاعات المصرية بأم قطف ، ضمن قوات النسق الأول للعميد سمحونى .

وبعد أن تجمعت مجموعة اللواء ٧ المدرع (شيفع) قيادة ألوف مشنيه أورى بن آرى حول منطقة نخل روث - وقد تضمنت كتيبتى دبابات خفيفة أ . م . إكس - ١٣ ، وكتيبة دبابات شيرمان معدلة ، وكتيبة ميكانيكية ، وكتيبة مشاة راكبة ، وثلاث كتائب ناحال ، وكتيبة مدفعية ميدان ، وسرية استطلاع - تقدمت خلال ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر إلى

بير حفير ، وهى على أهبة الاستعداد لاستغلال نجاح مجموعة اللواء ٤ المشاة بتنفيذ إحدى المهام الثلاث التالية : [٥]

المهمة الاولى :

اجتياح دفاعات أم قطف من الجنوب عن طريق القصيمة ، وبعد الاستيلاء على تقاطع طرق « أبو عويقيلية » تقوم بالاتصال بمجموعة العمليات ٧٧ - المكلفه بالهجوم على رفح بقيادة العميد حاييم لاسكوف ، وذلك عند العريش .

المهمة الثانية :

تطويق دفاعات أم قطف من الجنوب والالتفاف حول جانبها الأيمن ؛ بهدف سرعة الاندفاع غرباً فى اتجاه الإسماعيلية من أقصر الطرق .

المهمة الثالثة :

الانطلاق من القصيّمة فى اتجاه الحسنة - صدر الحيطان إذا ما تطلب الموقف القتالى للواء ٢٠٢ المظلات نجدته هناك .

ويبقى من مجموعة العمليات ٣٧ مجموعتا اللوائين ١٠ المشاة قيادة العقيد شمويل جودير ، و ٣٧ الميكانيكى قيادة العقيد شيمويل جولندا ، وقد كان عليهما بعد التجمّع حول العوجة التقدم الى طارة أم بسيس لطرد نقطة المراقبة المصرية منها ، قبل الهجوم على دفاعات أم قطف بالمواجهة ، وبعد تركيز نيرانى شديد من الطائرات ومدفعية الميدان . وبمجرد إجتياح تلك الدفاعات يتم استغلال النجاح نحو العريش أو الإسماعيلية طبقاً لما يتطلبه الموقف وقتذاك .

ملخص المعركة[٦]

(٨٤ ساعة فيما بين منتصف ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر ، وظهر يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦ م) تعددت صور أعمال القتال خلال هذه المعركة ، التى شهدت أعنف درجات الصراع المسلح فى حرب العدوان الثلاثى ؛ حيث بدأت المناوشات عند نطاق الامن ، التى تلتها محاولة الهجوم بالمدرعات من الحركة على الطرف الجنوبى للدفاعات الرئيسية فى أم قطف ، فى خروج سافر على تعليمات الجنرال موشيه ديّان ، الذى كان قد أكد على العميد سمحونى ألا

يبدأ قتالاً حقيقياً بالمدرعات قبل وقوع الضربة الجوية الأنجلوفرنسية ، حيث إن ما سوف يسهل إنجازه بعدها لاتدعو الحاجة إلى القيام به قبلها ، حتى لا تتعرّض القوات لخسائر كثيرة بلا داع .[٧] هذا فضلاً عن حرص الأركان العامة على أن تضفى على كل أعمالها قبل تلك الضربة الجوية صورة العملية الانتقامية ، وليس الحرب السافرة .

ويقول الجنرال ديّان إنه اصطدم بشدة صباح يوم ٣٠ أكتوبر مع العميد سمحونى ، الذى دفع مجموعة اللواء ٧ المدرّع قبل الموعد المحدد على نقيض أوامر الأركان العامة ، التى قضت بألا تبدأ المدرعات الهجوم قبل يوم ٣١ . وبالرغم من توضيح ديّان ذلك لسمحونى بجلاء . . فقد أصر الأخير على عدم إضاعة أى لحظة يمكن استغلالها للانتفاع بمفاجأة دفاعات أم قطف ، قبل أن تدرك حقيقة ما سوف يقع لها[٨] وبمجرد أن صادف الجنرال ديّان العميد سمحونى نهار ٣٠ أكتوبر ، قرب رأس مظامر الواقعة غرب القصيمة بنحو ٢٠ كيلو متراً ، استوضحه عن الأسباب التى دفعته إلى الخروج على أوامره ، قبل أن يصب علية جام غضبه ويفرغ كل ما كان فى قلبة من سخائم لعدم احترام سمحونى توجيهاته .

وتتطلّب دراسة معركة أم قطف تقسيمها إلى ثلاث مراحل على النحو التالى :

١ - مرحلة المناوشات فى نطاق الأمن بالقصيّمة .

٢ - مرحلة محاولة تطويق دفاعات قطف من جهة الجنوب (المؤخرة) .

٣ - مرحلة محاولة الهجوم على دفاعات أم قطف من الشرق والجنوب والمؤخرة .

وقد حدث خلال تلك المرحلة الثالثة أن صدر أمر القيادة العامة المصرية بالانسحاب العام من سيناء وقطاع غزة إلى الضفة الغربية للقناة ، بعد أن تأكد لها أن هدف الغزو البحرى الأنجلوفرنسى هو قطع مؤخرتها على امتداد قناة السويس ، الأمر الذى حول اهتمام قائد مجموعة اللواء ٦ المشاة من التمسك بالدفاعات إلى سرعة التخلص من المعركة ، والانضمام إلى القوات المصرية الرئيسية غرب قناة السويس .

القتال فى نطاق الأمن بالقصيمة[٩]

توالت بلاغات نقط الانذار المصرية قرب العوجة وأمام القصيمة عن نشاط التحركات الإسرائيلية بين بير السبع ومستعمرة جفعات راحيل - وقد كانت هذه هى تحركات مجموعة

اللواء ٧ المدرع - وكذا بين بيرين صوب القصيمة - وقد كانت تحركات مجموعة اللواء ٤ المشاة - ولهذا رفعت درجة استعداد القوات المصرية فى الساعة الخامسة عصر ٢٩ أكتوبر للتأهب ؛ لتنفيذ خطة القتال التعطيلى فى نطاق الأمن ، فقامت الأورطة الثانية الخفيفة بدفع داوريات إضافية للأمام والأجناب .

وبمجرد أن علم العقيد سامى بولس الذى كان يحل محل العميد القاضى الموجود بإجازة ميدانية بإسقاط المظليين فوق صدر الخيطان ، اعتبر ذلك بداية للعدوان فأعلن حالة الاستعداد القصوى ، وفى الساعة العاشرة والنصف ليلاً أمر الأورطة الثانية استطلاع أن تدفع تروباً إلى الصبحة لمتابعة تحركات العدو التى قدرها ذلك التروب ، عندما وصل هناك بنحو لواء مشاة ، كما دفعت تروباً ثانياً فى وادى سيرام ، وثالثاً فى وادى الأبيض .

وتبع ذلك تكليف كتيبة الحرس الوطنى باحتلال نقط إنذار عند المدخل الجنوبى للقصيمه والمدينة الأثرية وعين الجديرات ، فاكتملت بذلك ستارة الإنذار على القوس الجنوبى الشرقى لدفاعات مجموعة اللواء ٦ المشاة .

المناوشة التعطيلية الاولى[١٠]

وعندما حل موعد بدء مجموعة اللواء ٤ المشاة مناوشة القصيمة ، وجد الألوف مشنيه يوسف هاربز أن إحدى كتائبه لم تنجح بعد فى الوصول إلى الخط المحدد لبدء المناوشات غرب جبل الفالج ، كما لم تبدأ المدفعية الميدانية نيران التمهيد كإشارة لبدء المناوشات ، وذلك لعدم انتهائها من التحضيرات الفنيّة ، كما لم تكن الكتيبة المكلفة بمناوشة جبل الصبحه قد أتمت استعداداتها بعد . وبناء على ذلك قرر الألوف مشنيه هاربز أن يؤجل ساعة س من الحادية عشرة ليلا إلى الواحدة بعد منتصف ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر .

إلا أنه عندما حل الموعد الجديد لم تكن كتيبة جبل الفالج قد وصلت إلى خط البداية بعد ، فدفع هاربز كتيبة النسق الثانى ؛ لتقوم بمهمتها خشية أن يتعطل العمل لأكثر من ذلك وينبلج ضوء الصباح .

وأخيراً فتحت كتيبة النسق الثانى نيرانها فى الساعة الثانية والنصف على الموقع المصرى بجبل الفالج ، الذى كان جنوده قد أخلوه منذ آخر ضوء ، وانتقلوا إلى الموقع التبادلى بخور الريشة ؛ حيث ظلوا يحبسون نيرانهم إلى أن دخلت الكتيبة فى المدى المؤثر ، فانهالت

عليها النيران الكثيفة المحكمة التصويب ، فأوقعت بها خسائر كثيرة ، وأجبرتها على التوقف ، ثم التقهقر بلا نظام .

ولم يكد جنود هذا الموقع التبادلى ينجزون تلك المهمة ، حتى أسرعوا بالانتقال إلى موقع ثالث على يسار الموقع الأول ، كما دفعوا داورية داخل وادى سيرام لمتابعة الحصول على المعلومات ، ولمفاجأة العدو إذا ما حاول التقدم مرة أخرى صوب القصيمة بالاشتباك معه من اتجاه لايتوقعه .

المناوشة التعطيلية الثانية[11]

أيقن الألوف مشنيه هاربز أن المهمة أصعب مما كان يتوقع بكثير ، فلم تزل إحدى كتائبه تائهة بين تلال الصبحة ، وقد فقد الاتصال بها ، كما أن كتيبة أخرى قد ضلّت طريقها مما دفعه إلى طلب المساعدة من قائد مجموعة العمليات ٣٨ لإنقاذ الموقف وحتى يستطيع الاستيلاء على القصيمة قبل أول ضوء ٣٠ أكتوبر ؛ لتأمين الأعمال الرئيسية التالية على الاتجاه الأوسط . إلا أن الألوف مشنيه يهودا والاش أمره بمعاودة الهجوم فوراً بما لديه من قوات .

وبعد تمهيد نيرانى بالهاونات ، دفع هاربز كتيبة مشاة تعاونها سرية استطلاع اللواء لمهاجمة موقع جبل الفالج مرة أخرى ، وحاول تعمية المدافعين بفتح الأنوار الكاشفة لحاملات الأفراد المدرّعة ، إلا أنه لم يدرك لثانى مرة أنه يهاجم موقعاً خالياً من الجنود بينما يعرض جانبة لتروب الإستطلاع الذى يحتل موقع خور الريشة ، فلما انصبت عليه النيران المفاجئة من الجنب ، أوقف الهجوم وأمر قواته بالانسحاب الفورى للخلف .

وصادف ذلك تحرك التروب الأول استطلاع على مدق الصبحة ، فما أن لاحظ انسحاب الإسرائيليين حتى أمطرهم بأسلحته الآلية التى كانت من الكثافة بما أقنع هاربز أن قوة مصرية كبيرة تكاد تحكم حوله حلقة الحصار ، فغير اتجاه تقهقره نحو وادى الفالج حيث اصطدم بالتروب الثالث استطلاع المتمركز بهذا الوادى . ونتيجة تكرار تلك المفاجأت بدأت معنويات الألوف مشنيه هاربز تهتز ، كما فقد السيطرة على قواته ، وأصبح على يقين أن القوات المصرية التى تواجهه كبيرة الحجم بما لاقبل له بها .

وبعد العدوان الثلاثى بعدة أعوام ، ظل هاربز يعتقد أن ما صادفه جنوب القصيّمة كان

قوة رئيسية ضخمة ؛ إذ ذكر للمؤرخ العسكرى الأمريكى البريجادير جنرال مارشال أن قوة وادى الفالج لم تكن تقل عن سريه ونصف ، على حين أنها كانت مجرد جزء من التروب الثالث استطلاع ، لايعدو العشرة جنود[١٢] .

المناوشة التعطيلية الثالثة والاخيرة[١٣] (انظر الخريطة رقم ٩)

تسرَّب الشك إلى صدر سمحونى ووالاش بعدم قدرة مجموعة اللواء الرابع المشاة على التغلب على مقاومات القصيّمة العنيدة ، فاتفقا على أن أفضل الحلول لاجتياز تلك العقبة الكؤود هو دفع مجموعة اللواء ٧ المدرع ، على أن تسبقه مجموعة قتال بحجم مناسب لتتقدم على مدق وادى سيرام ، على أن تتشكل من سريتى دبابات متوسطة وسرية دبابات خفيفة وسرية مشاة ميكانيكية ، بينما تهاجم مجموعة اللواء ٤ المشاة جبال الفالج وتحتلها .

وباقتراب ضوء النهار توالت البلاغات على العميد القاضى ، الذى كان قد عاد لتوه من الإجازة الميدانية بظهور دبابات كثيرة مع حاملات الأفراد جنوب وأمام القصيمة ، فقرر فى الساعة الخامسة والنصف صباحاً البدء فى تخليص الأورطة الثانية الخفيفة بالارتداد إلى موقع خلفى ، عند مضيق أم مطامر على الجناح الجنوبى لموقع أم قطف الدفاعى .

وفى الساعة السابعة صباحاً حاولت كتيبة من اللواء ٤ المشاة تطويق عناصر تروب وادى الفالج ، الذى سارع بقطع الاتصال بالعدو والارتداد الى مضيق أم مطامر ، دون أن يصاب بخسائر تذكر .

ثم واصلت القوات الإسرائيلية التقدم على مدق القصيّمة ، حيث هاجمت المواقع الخالية فى جبال الفالج تحت ستر نيران مركزه من الدبابات ، وقد أستغرق هذا الهجوم نحو ٥٠ دقيقة ليجد المواقع بلا جندى مصرى واحد .

وعندما استأنفت القوات الإسرائيلية التقدم نحو القصيمة ، اصطدمت إحدى عربات القيادة بلغم فى حقل الغام مبعثرة ، استغرق فتح ممر فيه نحو ساعة أخرى ، بينما النيران التعطيلية تنصب على المهندسين القائمين بفتح الممر .

وعندما وصلت قوات هاربز أمام بلده القصيّمة آخر المطاف ، ألقت عليها القوات المدافعة عنها وابلاً من نيران الدبابات ومدافع الماكينة ، قبل أن تقتحمها مجموعة القتال المدرعة

وتحتلها ، ثم تخطر قيادة المجموعة ٣٨ عمليات عن تمام الاستيلاء على القصيّمة قبيل الظهر ، غير أن نيران القناصة ظلت تنطلق من أزقة البلدة ردحاً من الزمن [١٤] .

التقدم إلى أم مطامر:

لما كانت الكتيبة ٤٣ المشاة هى أقل كتائب مجموعة اللواء ٤ المشاة فى الخسائر ؛ نظراً لانها ظلت تائهة أغلب ساعت الليل ، فلم تشترك فى القتال ، فقد أمرها الألوف مشنيه هاربز بتنظيم الدفاع عن قرية القصيمة ، مع إرسال ثلاث دوريات استطلاع تجاه الكونتلا ونخل ومضيق أم مطامر . وعندما عادت الداوريتان الأوليان أبلغتا عن خلو المدقات ، بينما أكدت الداورية الثالثة وجود مدرعات مصرية فى مضيق أم مطامر ، الذى لم يكن به فى الواقع سوى قوات الأورطة الثانية الخفيفة ، التى أتمت انسحابها من القصيّمة بنجاح ومعها سرية المشاة .

ونتيجة هذا البلاغ الخاطىء ورغم تأكيد الجنرال ديان بعدم استخدام المدرعات فى القتال قبل وقوع الضربه الجويّة الأنجلوفرنسية حتى تصبح القوات الإسرائيلية ، مثل راكب الدّراجة الذى يصعد التل ممسكا بعربة تصعد أمامه ، فقد خرج الألوف سمحونى عن هذه الأوامر للمره الثانية فأصدر أمره إلى الألوف مشنيه أورى بن آرى بدفع مجموعة اللواء ٧ المدرع ؛ لاقتحام مضيق أم مطامر والاتصال بالدفاعات الرئيسية فى أم قطف [١٥] .

ودفع بن آرى مجموعة قتال مدرعة من أورطتى دبابات خفيفة ، وأورطة دبابات متوسطة ، وسرية مشاة راكبة ، على الطريق الأسفلتى القصيّمة - أم مطامر وأمامها فصيلة دبابات شيرمان كنقطة أمامية . وباقتراب هذا الرتل من الكوبرى المنسوف على وادى الأبيض جنوب أم مطامر حوالى الظهر ، أطلقت عليه الأورطة الثانية الخفيفة نيرانها بمعدل كثيف فأصيب جنزير إحدى دباباته ، وتوقفت باقى الدبابات خلفها لتفتح نيرانها من ذلك المدى البعيد على قوات المضيق .

وفى نفس الوقت شاهد الرائد كمال الدسوقى قائد الأورطة الثانية الخفيفة ، رتلاً آخر يتقدم فى اتجاه المدينة الأثرية على مدق القصيّمة -الحسنة ؛ مما يعرض قواته لخطر التطويق . وبادر قائد اللواء ٦ المشاه بمجرد إخطاره بذلك إلى إصدارالأمر بنسف مضيق أم مطامر ، وارتداد قوات الدسوقى داخل الدفاعات الرئيسية بأم قطف .

وظل الدسوقى يطلق نيرانه على العدو الذى يطارده ، بعد أن نسف المضيق حتى اجتمع

شمل قواته حول تقاطع طرق ابوعويقيلة عصر يوم ٣٠ أكتوبر ، بينما انضمت السرية المشاه على الكتيبة ١٧ المشاه عند سد الروافعة .

ولم تستأنف مجموعة القتال المدرعة التقدم عبر مضيق أم مطامر إلا بعد الظهر ، بينما تعثّرت مجموعة اللواء ٤ المشاه وتوقفت فى القصيّمة ، حيث تحول الجنود إلى أعمال النهب السلب التى وصفها الجنرال ديان ، عندما وقع نظره على بقاياها بأنها كانت صورة مهينة ومثيرة للأعصاب[١٦] .

وقفة تكتيكية حتى الصباح[١٧]

لقد شنّت المجموعة ٣٨ قيادة الألوف سمحونى عدة هجمات متتالية من اتجاهات مختلفة ؛ بهدف إلاستيلاء على دفاعات مجموعة اللواء ٦ المشاه بأم قطف. ورغم تنوع أسلوب الهجوم ما بين الهجوم النهارى والليلى ،والهجوم من الحركة ومن العمق ،والهجوم بعد تحضير قصير والصامت ، والهجوم بالمواجهة والمناورة من الجنب والمؤخرة،فقد صمد الجنود المصريون فى دفاعاتهم ، وحطموا تلك الهجمات الواحدة تلو الأخرى ، بل ونجحوا فى شن الهجوم المضاد لطرد القوات المعادية التى تمكنت فى إحدى مراحل القتال من اختراق الدفاعات ، فكان ذلك هو الهجوم المضاد الناجح الوحيد خلال حرب العدوان الثلاثى ،وقد قاده المقدم اركان الحرب على عبد الخبير قائد الكتيبة ١٨ المشاه بنفسه.

وبعد أن فشلت مجموعة اللواء ١٠ المشاه فى اقتحام أم قطف بالمواجهة ، ثم مجموعة اللواء ٧ المدرع من الجنب الأيمن . تحت جنح ظلام ليلة ٣٠ / ٣١ أكتوبر ، وصل رئيس الأركان العامة الجنرال ديان لدراسة الموقف مع الألوف سمحونى والالوف مشنيه بن أرى الذى انتهى بقرار من ديان باتخاذ وقفة تكتيكية إلى أن تبدأ الضربة الجوية الأنجلوفرنسية صباح ٣١ أكتوبر طبقاً لبروتوكول سيفر .

. . . ووصل الجنرال ديان
إلى مركز قيادة الألوف سمحونى
ليلة ٣٠/ ٣١ أكتوبر

جرعة حرب نفسية[١٨]

فى الساعة الثانية عشرة والنصف من ليلة ٣٠ / ٣١ أكتوبر حلقت طائرة إسرائيلية فوق أم قطف ، وراحت تذيع بالعربية الدارجة نداء من الميكروفون ، تحض به الجنود على التسليم بعد أن تم حصارهم بالمدرعات من الخلف ، وبالمشاه من الأمام والجنب الأيمن ، وقد رد الجنود بإطلاق نيرانهم على الطائرة التى لاذت بالفرار قبل أن تنهى النداء.

وبعد ذلك بساعة وصلت إلى العقيد بولس رسالة شخصية من اللواء محمد عبد الحكيم عامر القائد العام ، يؤكد عليه بضرورة التمسّك بدفاعات أم قطف ، التى يتوقف عليها اتزان دفاعات سيناء كلها ، فكان لوقع تلك الرسالة صدى جميل فى نفوس الجميع .

ثم عادت الطائرة الإسرائيلية مرّة أخرى حوالى الساعة الرابعة فجراً ، لتذيع النداء السابق الذى زادت عليه بإلقاء منشورات بنفس المعنى ، فتبارى الجنود فى إطلاق نيرانهم على الطائرة ، بينما عمد البعض منهم الى جمع تلك المنشورات وإحراقها[١٩] .

وطوال تلك الليلة لم تنقطع نيران المدفعية والهاونات عن قصف دفاعات أم قطف بمعدل بطىء ، بهدف إنهاك الجنود وحرمانهم من الراحة. وقد حاول المقدم مصطفى الجمل قائد الألاى الثالث مدفعية الميدان قصف مرابض العدو التى أمكن رصدها اعتماداً على سابق دراسته لطبوغرافية الأرض بدقة ، كما وجه جزء من نيرانه ضد أرتال العدو المتقدمة من العوجة بعد أن تمكن من تمييز انوارها الخافتة.

بن آرى يعبر المضيق[٢٠]

وبعد أول ضوء ٣١ أكتوبر ، اصطدمت عناصر الأورطة الثالثة سيارات حدود مع مقدمة مجموعة اللواء ٧ المدرع قرب المخرج الشمالى لمضيق الضيقة ، فتأكد العقيد بولس أن العدو يحاول قطع مؤخرته فأصدر أمره إلى قائد الكتيبة ١٢ المشاه بتعديل أوضاعه ؛ لمنع احتلال العدو تقاطع طرق « أبو عويقيلة » وتأمين محور الإمداد الرئيسى لمجموعة اللواء السادس المشاه .

وفى الساعة السادسة صباحاً وصلت الأورطة الثانية الخفيفة إلى منطقة الحسنة ؛ حيث قابلت الألاى الثانى سيارات حدود قادماً من نخل ،ولما أبلغت الموقف لقائد الفرقة الثالثة

المشاه بالعريش ، أمرها بتنظيم الدفاع عن الحسنه انتظاراً لوصول المجموعة الأولى المدرعة إليها .

وقد أبدى قائد الالاى روحاً عالية فى تقبّل آراء قائد الأورطة الأحدث منه فى الرتبه وبادر بتنفيذها بكل جدية بما أسهم فى تحقيق المهمة ، التى أمر بها العميد القاضى على أفضل وجه ممكن .

وخلال ذلك ظلّت مجموعة اللواء ٧ المدرع تلاقى مشاقاً كثيرة طيلة ليلة ٣ / ٣١ أكتوبر ، وهى تعبر المضيق رغم الجهد الكبير الذى بذله المهندسون العسكريون لإزالة أعمال النسف المصرية . وقد اضطر بن آرى إلى ترك الكثير من عرباته ذات العجل ، بينما نجحت ناقلات الجند المدرعة والدبابات فى العبور بعد تأخير كبير .

وقام بن آرى بتجزئة المجموعة إلى قسمين ، نجح القسم الثانى بعد لأى فى الوصول إلى الأرض المفتوحة شمال المضيق مع أول ضوء ، حيث اصطدم بعناصر من الأورطة الثالثة سيارات حدود التى بادرت بالانسحاب لعدم تكافؤ القوى ، ولجأت إلى المعسكر المجاور لتقاطع طرق « أبو عويقيلة » .

ثم تابع القسم الثانى التقدم على الطريق الأسفلتى حتى التقى بعناصر السرية ١٣٥ استطلاع جنوب تقاطع طريق الضيّقة ، مع الطريق الأوسط بحوالى كيلومترين ، حيث حصل منها على بعض المعلومات عن موقف وأماكن تمركز القوات المصرية المجاورة .

وقرّر قائد القسم مطاردة عناصر سيارات الحدود المرتدة ، وسرعة الاستيلاء على تقاطع طرق « أبو عويقيلة » وفى نفس الوقت ، كان القسم الأول المدرّع قد أتم عبور مضيق الضيقة بدوره ، وتمركز ومعه السرية ١٣٥ استطلاع وسرية دبابات متوسطة قرب الطريق الأوسط ؛ حيث تأهب لمهاجمة الموقع الدفاعى للكتيبة ١٧ المشاه بسد الروافعة .

القتال حول التقاطع [٢١]

وصلت قوات بن آرى إلى التقاطع فى الصباح ، بينما كانت القوات التى أرسلتها قيادة الفرقة ٣ المشاه للدفاع عنه مازالت فى الطريق إليه تتقدمها السرية الأولى من الكتيبة ١٢ المشاه ، وتعقبها السرية الثانية ، فقيادة الكتيبة .

وبهذا توفّرت الظروف لاشتعال معركة تصادمية بين مدرعات بن آرى والمشاه المصرية ، لم يكن هناك شك فى نتيجتها مما دفع المقدم مصطفى الجمل الذى شاهد هذا الموقف من موقعه إلى إطلاق نيران مدافعه ؛ لإنقاذ المشاه المصرية من الخطر المحدق بها فصبّ قذائفه بالتنشين المباشر على أرتال بن آرى ، بينما عززتها نيران سريتا المشاه من مدافعها المضادة للدبابات وقواذفها الصاروخية « البلاند سيد » من مسافه ٢٠٠ - ٣٠٠ متر .

ولم يكن لكل تلك النيران تأثير يذكر على دبابات بن آرى ، التى واصلت الزحف حتى اقتحمت معسكر انتقاطع حيث حمى وطيس القتال من خندق إلى الآخر حتى اتمت الاستيلاء على تقاطع « أبو عويقيلة » وراحت القوات المصرية ترتد شمالاً فى اتجاه أولاد على .

إحكام الطوق حول عنق الزجاجة[٢٢]

وقبل الساعة التاسعة من صباح ٣١ أكتوبر ، كان الطوق قد التف حول أم قطف من الشرق بمجموعة اللواء ١٠ المشاه ، ومن الجنوب الشرقى بمجموعة اللواء ٣٧ الميكانيكى ، والجنوب الغربى بمجموعة اللواء ٤ المشاه ، والغرب بمجموعة اللواء ٧ المدرع ، إلا أن هذا الحصار بدلاً من أن يفت فى عضد القوات المدافعة فإنه زادها تصميماً على التشبّث بالدفاعات وتحطيم هجمات العدو مهما بلغت من العنف والتكرار . وكان العقيد بولس قد أصيب فى صدره إصابة سطحية إلا أنها حطمت قلم الحبر الأحمر ، الذى سال على ردائه فجعله يظن أن إصابته قاتله تستدعى الإخلاء ، وبادر العميد القاضى بإرسال العقيد محمد سعد الدين متولى ليحل محله .

وفى التاسعة تماماً بدأت مجموعة اللواء ١٠ المشاه الهجوم على أم قطف من الشرق من محل التشكيل للهجوم خلف تياب أم طرفه ففتح عليها الألاى الثالث مدفعية الميدان نيران التمهيد المضاد ، التى كانت ذات تأثير شديد بفضل سابق تسجيل المنطقة ودقة التوقيت ؛ مما أجبر القوات المهاجمة على إلغاء الهجوم والانسحاب للخلف .

وفى نفس الوقت تقدم قسم القتال الثانى المدرع من لواء بن آرى مستتراً بكثبان وادى العريش ليهاجم موقع سد الروافعة فلم يكن حظه بأفضل من مجموعة اللواء العاشر المشاه ؛ إذ تمكنت البطارية الثانية مدفعية الميدان والمدافع المضادة للدبابات أن تدمّر الدبابات القائدة للهجوم وتجبر العدو على الانسحاب إلى التقاطع .

واقتصر نشاط العدو بعدئذ على قصف مواقع ومعسكرات أم شيخان وسد الروافعة بنيران المدفعية والهاونات ، ثم زاد كثافتها باشتراك المدفعية المتوسطة ، إلا أن تأثيرها المادى ظل ضعيفاً نظراً لعدم دقة التصويب ، ولأن التجهيز الهندسى للمواقع الدفاعية كان جيداً والخنادق عميقة .

وحوالى الساعة ١١ صباحاً وصل الجنرال ديان إلى مركز قيادة الألوف سمحونى ؛ حيث احتدم بينهما الجدل حول قرار بن جوريون رئيس الوزراء بسحب القوات الإسرائيلية من سيناء لعدم تنفيذ القيادة الأنجلوفرنسية وعودها بشن الضربة الجوية المركزة ضد مصر فى أول ضوء هذا اليوم . ولاحظ ديان أنه رغم إحكام الطوق حول عنق الزجاجة بأم قطف ، فإن موقف قوات مجموعة العمليات ٣٨ كان سيئاً بالقدر الذى يستدعى سرعة اجتياح أم قطف ؛ لتحقيق الاتصال المباشر بين قوات المجموعة الموجودة شرقها مع قواتها فى الغرب .

إلا أن سمحونى أوضح له استحالة تنفيذ أى هجوم نهارى ناجح على أم قطف ، فقبل ديّان تأجيل الهجوم ليتم ليلاً شريطة أن تشترك فيه كل قوات المجموعة .

النجده تحتاج الى نجدة![٢٣]

وبينما كان ديان مجتمعاً بسمحونى ، كان الألاى الثالث المدرّع والكتيبة العاشرة المشاه يتحركان بأمر العميد القاضى من العريش نحو « أبو عويقيلية » لنجدة قوات مجموعة اللواء ٦ المشاه ، بعد أن أحكم العدو طوق الحصار حولها .

إلا أن هذه النجدة صادفت ظروفاً غاية فى الصعوبة ؛ إذ ركزت عليها طائرات العدو نيرانها وهى تتقدم على طريق تحف به من جانبيه أرض لا تسمح بالانتشار ؛ مما هبط من معدل السير إلى مجرد ٦ - ٧ كيلو مترات فى الساعه ، فصار الرتل صيداً سهلاً للطائرات المغيرة التى أوقعت به خسائر فادحه جداً .

ونتيجة لذلك ، لم تبدأ مقدمة الرتل فى الوصول إلى منطقة أولاد على إلا بعد ست ساعات من التحرك ، وحتى الساعة الثانية عصراً كان كل ما امكنه الوصول هو نصف الكتيبة العاشرة المشاه فقط وهو فى حالة إنهاك شديد . ثم وصل الألاى الثالث المدرع بعد ذلك بنحو الساعة دون حملته الإدارية التى حطمتها الطائرات الإسرائيلية ، فلم يعد الألاى

يملك إلا ما تحمله الدبابات الشيرمان فى جوفها من ذخائر ووقود ، لا يكفى خوض معركة نشطة .

وبينما كانت تلك القوات تصلح من شأنها وتضمد جراحها ، إذ بها تتعرّض لهجوم شديد فى الساعة الرابعة عصراً من القسم المدرّع الثانى لمجموعه اللواء ٧ المدرع بصحبة عناصر من المشاه الميكانيكية حاولت اجتياح منطقه اولاد على من الجنوب على استداد طريق العريش الإسفلتى ، إلا أن سوء تحضير هذا الهجوم وشدة إرهاق جنوده ، بالإضافة إلى نجاح القوات المدافعة فى تحطيم بعض المركبات القائدة أو وقف الهجوم ورده على أعقابه . ولما قاربت ذخيرة الألاى الثالث المدرع على النفاد ، مع استحالة إمداده بكمية جديدة منها نظراً بسيطرة قوات العدو على الطريق ، وتدمير أى عربات تتحرك عليه قرر قائدا الألاى والكتيبة عند حلول الظلام أن يرتد بما بقى من قواتهما إلى العريش ، وفى الساعة الخامسة والنصف بدأ هذا الارتداد الذى لم يحاول القسم الثانى المدرع التدخل فيه ؛ نظراً لما كان عليه من إرهاق فوصلت القوات المرتدة إلى العريش فى نحو العاشرة مساء ؛ ليقابلها العميد القاضى بثورة من الغضب لتخاذلها عن الاستمرار فى تنفيذ المهمة ، التى كانت قوات أم قطف فى أمس الحاجة إليها .

معركة سد الروافعة[٢٤]

لم يكد القسم المدرَّع الثانى من مجموعة اللواء ٧ المدرع ينتهى من مشاكله فى منطقة أولاد على ، حتى جاءته أوامر الألوف مشنيه بن أرى بالاستعداد لمهاجمة موقع سد الروافعة بعد تعزيزه بعناصر من المدرعات والمشاه الميكانيكية ، بما يرفع حجمه إلى أكثر من ألاى مدرع وكتيبة ميكانيكية .

وظلت القوات المدافعة عن سد الروافعة - والمكونة من السرية الثالثة من الكتيبة ١٢ المشاه ، وعناصر من سرية معاونة هذه الكتيبة ، وسرية من اللواء ٩٩ المشاه الاحتياطى ، والبطارية الثانية من الألاى الأول مدفعية الميدان ، وقيادة البطارية ٩٤ المضادة للدبابات ذاتية الحركة ، والعناصر الإدارية للكتيبة ١٧ المشاة -تقوم بإعادة تنظيم دفاعاتها على التباب المشرفة على سد الروافعة ، كما اهتم قائد بطارية مدفعية الميدان وبطارية المدفعية المضادة للدبابات باختيار مرابض النيران بحيث تواجه وتسيطر على تقاطع طرق « أبو عويقيلية » ،

مع حسن استغلال تضاريس الأرض لإخفاء المدافع وسترها عن المراقبة الأرضية والجوية ، فلم يحل الظلام حتى كانت تلك القوات قد أتمت تنظيم دفاعاتها على الوجه الأكمل ، واستعدت لمواجهة أى هجمات من جهة الغرب .

ولم يطل انتظارها إذ انقضت عليها طائرات العدو فى الساعة الخامسة مساء ، ثم أعقبها تمهيد المدفعية الإسرائيلية للهجوم الذى استمر ٢٠ دقيقة على المعسكر والمخازن والخيام ومرابض نيران البطارية الثانية مدفعية الميدان .

وتحت ستر تلك النيران الكثيفة ، تقدم القسم الثانى المدرّع المعزز بالمشاة الميكانيكية ؛ لاحتلال قاعدة نيران بدأ منها الاشتباك ضد موقع سد الروافعة بالضرب المباشر .

وفى تشكيل منتشر زحفت القوّة المهاجمة على الموقع ، إلا أنها فقدت الاتجاه الصحيح بسبب الظلام فهاجمته بالمواجهة بدلا من الجنب حسبما كانت تقضى الخطّة ، فوقعت بذلك تحت تاثير قاعدة نيرانها مما أجبر قائدها على سرعة سحبها للخلف .

وانتهز المدافعون فرصة الارتباك وتوقف قاعدة نيران القوات المهاجمة عن إطلاق مقذوفاتها حتى لا تصيب قواتها الصديقة ، فزادوا من كثافة نيرانهم الدفاعية من جميع المدافع والأعيرة حتى انقلبت منطقة سد الروافعة إلى شعلة من النيران زادها توهجا اشتعال المخازن والعربات والخيام ومكدسات الوقود فانقلب الليل نهارا ، وارتفعت السنة اللهب إلى عنان السماء .

وأوشكت ذخيرة المدافعين على النفاد . كما دمر أغلب مدافعهم ، وانقطع اتصالهم بقيادة مجموعة اللواء ٦ المشاه بأم قطف ، وتمكّنت عناصر العدو من الوصول إلى قلب المعسكر المشتعل فارتدت القوات المدافعة عنه عبر الأسفلت والتجأت إلى مكسر الفناجيل لتصل منه إلى أم قطف ، التى ما كادت تقترب منها حتى وقعت تحت نيران دفاعتها لعدم معرفتها بكلمة سر الليل . وبقيت هذه القوات المنسحبة من سد الروافعة فى مكانها بمكسر الفناجيل حتى الفجر ، عندما نجح قسم منها فى الدخول إلى منطقة أم قطف بينما اتجه القسم الأخر شمالاً نحو العريش .

ولم تهدأ قوى الدفاع عن سد الروافعة عن مواصلة إطلاق نيرانها طيلة ليلة ٣١ أكتوبر / ١ نوفمبر ، الأمر الذى أزعج قائد القسم الثانى المدرّع ، الذى أصيبت أغلب

دباباته ونفدت ذخيرتـه فأصدر أمره بالعودة إلى تقاطع طرق « أبو عويقيـلة » لإعادة التنظيم هناك . إلا أنه اصـطدم بمدفعين ذاتيـى الحركة من التروب الـثانى من البطـارية ٩٤ المضادة للدبابات ، نجحا فى إصابة الدبابة القائدة بالطلقة الأولى ، مما أربك قائد القسم المدرع ودفعه إلى سرعة التخلص من سد الروافعة والعودة بقواته إلى تقاطع « أبو عويقيلة » .

وبانتهاء معركة سد الروافعة على هذه الصورة ، التى أثبتت مرة أخرى أن النصر ساعة من الـصبر تمت حـلقة الحصـار حول منطـقة أم قطف ، وتـهيأت المجمـوعة ٣٨ عملـيات لاحتياجها من كافة الاتجاهات .

الموقعة الرئيسية على الاتجاه الأوسط[٢٥]

كانت أوامر الجنرال ديان أن يتم الاستيلاء علـى أم قطف قبل ظهر أول نوفمبر ، حتى ولو تطلب ذلك التضحية بالكثير من الخسائر . وتلخصت خطة الألوف سمحونى فى توجيه عدة ضربات متـلاقية ضدها من المواجهة والأجـناب والمؤخرة فى ستة محاور اقـتحام ، تبدأ كلها فى وقت واحد عند أول ضوء ١نوفمبر ، مع تركيز الجهد الرئيسى للهجوم على الجانب الجنوبى للمنطقة الدفاعية .

وقد حدّد خطة الهجوم كالاتى :

تهاجم مـجموعة اللواء ١٠ المـشاه قيادة الالوف مشنيه شمويل جوديـر ، أم قطف من ثلاثة اتجاهات بـقوة كتيبة مشاه فى كل اتجـاه ، مع تأمين أنسب الظروف لاشتـراك مجموعة اللواء ٣٧ الميكانيكى فى الهجوم ، والتعاون معها فى الاستيلاء على دفاعات أم قطف كمهمة مباشرة ، ثم دفاعات أم شيحان كمهمة تالية .

وتهـاجم مجموعـة اللواء٣٧ الميكانيـكى قيادة الألوف مـشنيه شمويـل جولينذا الـتباب الأمامية بأم قـطف بالمواجهة فيمـا بين طريق العوجة الإسفـلتى والمدق التركى ، مع تـنسيق هجومها ليبدأ مع هجوم اللواء ١٠ المشاه ؛ بهدف الاستيلاء على تلك التباب الأمامية كمهمة مباشرة، ثم منطقة أم شيحان كمهمة تالية .

وتسـتمر مجموعـة اللواء ٤ المشاه قيادة الالـوف مشنيه يوسـف هاربز فى الضغـط على الجانب الجنوبى لمنطقة أم قطف وتثبيت القوات المواجهة لها بالنيران .

وتتشكل مجموعة اللواء ٧ المدرع قيادة الالوف مشنيه أورى بن آرى فى قسمين :

١ - مجموعة القتال الثانية المدرّعة المدعمة بعناصر من لواء هاربز ، والتى تشن هجوماً من الخلف على امتداد طريق « أبو عويقيلة » - العوجة بهدف الإستيلاء ،على أم شيخان بالتعاون مع قوات جودير وجولندا التى تزحف عليها من الأمام .

٢ - مجموعة القتال الرابعة المدرّعة وتهاجم تبتى النزاع من ناحية الجنوب الشرقى على امتداد طريق القصيمة الأسفلتى ، وبعد سقوط أم قطف تتحول للعمل كاحتياطى للمجموعة ٣٨ عمليات .

لقاء فوق التل العريض :

ظلّت الأفكار تتتابع على مخيلة العقيد متولى ، بعد أن وصل إلى مركز قيادة اللواء ٦ المشاه قرب السفح الشمالى لجبل ضلفة ، وعندما زاد ارتجاج الأرض تحت أقدامه صعد إلى سطح المركز ؛ ليتحقق من الأمر بعد أن انقطع الاتصال بينه وبين سد الروافعة ، فهاله منظر الحرائق والانفجارات المدوية التى أحالت الأفق الغربى الى كتلة من اللهب ، الذى تتصاعد ألسنته إلى عنان السماء ، ولم يخرجه من مشاغله إلاّ وصول المقدم الجمل قادماً من موقع الآى الميدان الرابض إلى الغرب ، قرب مركز قيادة متولى .

ورغبة فى كسر حدَّة الموقف ، بدأ الجمل حديثه بنوع من المداعبة فربط بين وصول العقيد متولى إلى أم قطف وبين اشتعال المعركة إلى الذروة . وارتاح متولى لوصول الجمل الذى تربطه به صداقة وثقة كبيرة فصارحه بما يشغل باله ، خاصة أن معلوماته عن طبيعة الأرض وموقف القوات المتضادة وديناميه القتال لا زالت كلها أمور غامضة ، لعدم توفر الوقت منذ وصوله لاستيعاب الحقائق ، إلا أن أشد ما يزعجه هذه اللحظة هو ما يحدث فى سد الروافعة ، فهل من سبيل إلى مدْ يَد المساعدةِ إليها ؟

وسارع الجمل إلى طمأنته بأن كل المواقع الدفاعية أصبحت فى الهم سواء ، وعلى كل واحد منها أن يتشبّث بأرضه حتى النفس الأخير ، لا سيما وأن الجميع قد ارتضوا البقاء داخل الحصار ، وقد صدق منهم العزم على ألا يبرحوا خنادقهم وفى صدورهم نفس يتردد .

ثم أنهى الجمل حديثه بأن نصح العقيد متولى بعقد مؤتمر من قادة وحدات اللواء لإعادة النظر فى هيكل الدفاع ، وتعديل أوضاعه لمواجهة حلقة الحصار التى أحكمتها قوات سمحونى حولهم من كل ناحية .

تعديل أوضاع الدفاع :[٢٨]

وانعقد المؤتمر فى الهزيع الأخيرمن تلك الليلة ، تحت أضواء المشاعل التى أفرط العدو فى إطلاقها لتحديد الأهداف وضبط النيران ، ولم ينفض المؤتمرون إلا الساعة الرابعة والنصف فجراً عندما كانت تلك المشاعل والنيران قد بلغت الحد الأقصى من الكثافة والضوضاء .

وتلخّصت التعديلات التى أتفق عليها المؤتمر فى تغيير قوس نيران نسق ثانى الكتيبة ١٨ المشاه ، والتروب الخلفى من البطارية ٧٨ المضادة للدبابات ؛ ليصبح فى مواجهة سد الروافعة ، مع تعزيزه بالتروب الثالث من البطارية ٩٤ المضادة للدبابات وتكليف النقيب محمد ضياء الدين زهدى قائد التروب الخلفى من البطارية ٧٨ ، والذى أبدى كفاءة وشجاعة كبيرة فى الاشتباكات السابقة بتولى قيادة التروبين.

أما أوضاع نسق أول الكتيبة ١٨ المشاه ، وكذا الكتيبة ٢٨٩ المشاه الاحتياط المتمركزة جنوبها ، فلم يدخل عليها أى تعديل ؛ إذ ظلت تواجه التهديد المحتمل من إتجاهى العوجة والقصيمة . كما استمرت نقطة القتال الخارجية فى أم بياض فى موقعها الذى تسيطر منه على المدق التركى.

وانفجر الموقف قرب الفجر :[٢٩]

ظلت المشاعل ومقذوفات المدافع تنهال بكثافة زائدة على دفاعات أم قطف ، حتى الساعة الخامسة والربع من فجر يوم ١ نوفمبر ، عندما بدأت مجموعة اللواء ٣٧ الميكانيكى شن الهجوم الرئيسى جنوب طريق العوجة وأم قطف مباشرة وصوب التبة ١٨٣ بكتيبتين ميكانيكيتين ، وكذا صوب التبة ١٨٦ بالكتيبة الثالثة الميكانيكية ، وكتيبة مشاه راكبة من اللواء ١٠ المشاه ، وقد أضاء الجميع أنوار المركبات المبهرة .

وكان تقدير الألوف سمحونى أن تمهيد مدفعيته قد حقق درجة إسكات ساحقة لن تصادف قواته بعدها مقاومة تذكر ، فضلاً عما أوقعته فى معنويات المصريين من دمار يكفى

معه اقتراب حاملات الأفراد المدرعة من سلسلة التباب الأمامية ، التى تقع عليها دفاعات النسق الأول المصرية ؛ ليهجر الجنود خنادقهم فارين للخلف .

وحدث عكس ذلك على خط مستقيم ؛ إذ بمجرد أن دخلت الحاملات المرمى المؤثر انفجر الموقف فى أم قطف من أدناه إلى أقصاه ، وراحت المعدات الإسرائيلية تشتعل مثل علب الكبريت : البعض بالإصابة المباشرة بقذائف المدافع ، والبعض الآخر بالمرور على الألغام ، كما قتل الألوف مشنيه شمويل جولندا قائد مجموعة اللواء ٣٧ الميكانيكى ، وبعض مرافقيه من هيئة أركانه الذين كانوا معه فى حاملة أفراد واحدة.

إلا أنه حدث خلال انتقال أحد المدافع المضادة للدبابات ذاتية الحركة إلى موقع تبادلى ، أن مرقت بعض حاملات الأفراد المدرعة فى اتجاه التبة ١٨٣ ، ونجحت فى الدخول إلى قلب الموقع الدفاعى ، فترجل طاقم المدفع وأباد أفراد تلك الحاملة ، قبل أن يتابع السير بمدفعه إلى الموقع الجديد .

وحدث نفس الشئ داخل أحد مواقع التبة ١٨٦ ، الذى دخلته فصيلة ميكانيكية كاملة وإقتحمت نقطة ملاحظة مدفعية على جانبها الشمالى حيث استشهد ضابط الملاحظة وترك بعض الجنود موقعهم وارتدوا نحو قيادة الكتيبة ١٨ المشاه . إلا أن رباطة جأش قائد السرية أنقذت الموقف بهجوم مضاد عاجل أباد معظم الأفراد المتسللين ، وحطم حاملاتهم المدرعة .

ويرجع السبب فى فشل هذا الهجوم المعادى على التبة ١٨٦ إلى سرعة تصرف قائد السرية المشاه ، واستمرار بعض أفراد نقطة ملاحظة المدفعية فى توجيه النيران ، رغم استشهاد ضابطهم وارتداد بعض زملائهم ، ونجاحهم فى إحكام نيران الآلاى الثالث مدفعية الميدان على الميول الأمامية للتبة التى أوقعت فى القوة الإسرائيلية بعض الخسائر ، وأصابت قائد الكتيبة الميكانيكية التى تسللت إحدى فصائلها داخل الموقع ، فارتد الجميع ناحية الشرق من حيث جاءوا وقد حملوا معهم ذلك القائد الذى أصيب بكسر مضاعف فى ذراعه [٣٠] .

ولم تكد الشمس ترتفع فوق قمم جبال العمرو حتى جاءت المقاتلات القاذفة ، وقد انفردت بالسماء بعد أن حطمت الضربة الجوية الأنجلوفرنسية الغطاء الجوى المصرى خلال الليلة السابقة ، وراحت تقصف خنادق الموقع الدفاعى واستحكاماته الهندسية من ارتفاعات منخفضة تضمن لها إحكام التصويب .

وفى نفس الوقت بدأت مجموعة القتال الرابعة المدرعة من لواء بن آرى الزحف على امتداد طريق القصيمة - أم قطف ؛ طبقاً للخطة الموضوعة لمهاجمة تبتى النزاع والاستيلاء عليهما ، إلا أنها فوجئت بنيران مدفعية الميدان والمواقع والأسلحة المضادة للدبابات التى أجبرتها على تغيير اتجاه هجومها نحو الشمال ؛ لاستغلال الثغرة الموجودة بين تبتى النزاع والتبة ١٨٦ شمالها . ولم يدرك قائد هذه المجموعة أنه ورط جنوده بذلك داخل أرض قتل ، سبق للبطارية ٨٧ المضادة للدبابات أن أعدتها لإبادة العدو الذى يسوقه سوء الحظ إليها[٣١] .

ولم يعد أمام القوة المهاجمة أدنى فرصة للنجاة ، حيث أصيبت أغلب الدبابات الأمامية فى اللحظات الأولى ، بينما راحت نيران النجدة تلاحق من حاول منها مهاجمة تبتى النزاع من الجنب ، وتجبره على التوقف والارتداد .

إلا أنه حدث فى نفس الوقت أن ترك بعض جنود الاحتياط من الكتيبة ٢٨٩ المشاه خنادقهم دون إذن ، وارتدوا نحو قيادة الكتيبة وقد تضعضعت معنوياتهم[٣٢] .

لحظة فخار :[٣٢]

عند هذه المرحلة من القتال ، كانت المعركة قد أتمت الصورة المثالية للصراع المسلح الذى يدور سجالاً بين خصمين ، قد عقدوا العزم على بلوغ الغاية القصوى منه ، وقد أحرز كل منهما قدراً من الانتصارات مثلما تحمل بعض الهزائم ، وأصبحت الغلبة للأقدر على مواصلة الجهد رغم ما أصابه من خسارة وإنهاك ؛ وذلك لأن الشجاعة صبر ساعة .

وعلى الرغم من فشل المجموعة الرابعة المدرعة وارتدادها أمام تبتى النزاع . . إلا أن كثرة اتجاهات الهجوم ، وزيادة معدلات الغارات الجوية ، وإرتداد بعض جنود الاحتياط دون أوامر ، وانقطاع المواصلات بين السرايا الأمامية ، ومع قوات سد الروافعة ، وضياع كل أمل فى وصول نجدة من أى مكان ، دفع العقيد متولى إلى بذل جهد خارق لتصحيح الوضع وإعادة السيطرة على الموقف ورفع المعنويات .

وكان أول ما قرره أن يستعيد التبة ١٨٦ ؛ فصدق للمقدم على عبد الخبير قائد الكتيبة ١٨ المشاه أن يشن عليها هجوماً مضاداً محلياً بما يتيسر لديه من قوات . وشكل عبد الخبير تلك القوة من رئاسة الكتيبة ، وبعض أفراد السرية الرابعة المشاه ، وعدد من المرتدين من

الدفاعات الأمامية ، مع بذل غاية الحرص لعدم إضعاف دفاعات التباب الخلفية التى تتعرض للتهديد من اتجاه سد الروافعة ، وكان مثار الإعجاب أن صمم عبد الخبير على قيادة الهجوم المضاد بنفسه .

وعجل عبد الخبير بالاندفاع أمام تلك القوة التى أعاد تشكيلها فى ثلاث فصائل ، فدفع إحداها نحو التبة ١٨٣ بينما تصدر هجوم الفصيلتين الأخيرتين فوصل إلى الميول الأمامية للتبة ١٨٦ تحت ستر نيران المدفعية وهاونات الكتيبتين ١٧ و ١٨ المشاه ، مع حماية الرشاشات المتوسطة للكتيبة ١٧ المشاه لجنب الهجوم .

ونجح الهجوم المضاد فى استعادة التبة ، فبادر قائد مجموعة اللواء ٦ المشاه إلى تنظيم توازن المواقع الدفاعية ، فلم يحل الظهر حتى كان قد سيطر على الموقف ، وتمكن من إعادة الاتصال بالعميد القاضى قائد الفرقة الثالثة المشاه بالعريش ، الذى هنأه على ذلك الإنجاز العظيم ، ووعده بالإمدادات العاجلة عبر مكسر الفناجيل .

الخروج من الحصار (٣٣)

لم يكد العقيد متولى يزف بشرى قرب وصول الإمدادات إلى مرؤوسيه ، حتى أعاد العميد القاضى الاتصال به لينقل إليه توجيهات القائد العام بالقاهرة بضرورة انسحاب كافة القوات المصرية من سيناء ؛ لاتخاذ مواقع دفاعية جديدة غرب قناة السويس ، انتظاراً للغزو البحرى الأنجلوفرنسى الذى لم يعد هناك شك فيه بعد تلك الضربة الجوية المركّزة ، التى شنتها طائرات مارشال الجو دنيس بارنيت ليلة أمس .

وأوضح القاضى لمتولى أهمية خروجه من الحصار المضروب حوله ، عن طريق مكسر الفناجيل وسرعة الانضمام إلى العريش قبل أن تتركها مؤخرة الفرقة الثالثة المشاه ، تنفيذاً لتلك التوجيهات .

وقبل أن يلقى متولى بأسئلته انقطع الاتصال فجأة مع القاضى ، فقرّر متولى الانتظار حتى يعود الاتصال ، ويتأكد من تلك التوجيهات مرة أخرى .

فلما جاءه صوت القاضى للمرة الثانية حوالى الساعة الواحدة ظهراً ، يؤكد ضرورة الخروج من الحصار بعد إتلاف المعدات الثقيلة والاكتفاء باصطحاب الأسلحة الشخصية فقط مع انتهاز فرصة أن منطقة بير لحفن لازالت مؤمنة بما يضمن انسحاب مجموعة اللواء ٦ المشاه

إلى العريش بنجاح عقد متولى مؤتمراً من مرؤوسيه ، ناقش خلاله الموقف التكتيكى والإدارى ، ثم قرر أن يبدأ التخلص من الحصار بعد آخر ضوء يوم ١ نوفمبر ، مع عدم إجراء أية أعمال نسف أو حرائق حتى لا يجذب انتباه العدو ، وأن تنزع بعض الأجزاء الرئيسية من الأسلحة والمعدات وتدفن فى أماكن متفرقة حتى لا يستفيد منها العدو .

ثم راح يصدر أوامره تباعاً بتخفيف المواقع تدريجياً ، مع استمرار تمثيل الحياة بها لآخر وقت ممكن . وتبلورت الخطة فى التسلل من مكسر الفناجيل فى آخر ضوء نحو الشمال الغربى ، بهدف الوصول إلى العريش ، قبل أن تبزغ شمس ٢ نوفمبر ، مع تنظيم التحرك فى أربع مجموعات كل بحجم كتيبة مشاه تقريباً ، وبفاصل زمنى بين كل مجموعة والأخرى مقداره نصف ساعة .

وتشكلت تلك المجموعات كالآتى :[1]

المجموعة الأولى : (المقدمة)

الكتيبة ١٧ المشاه عدا سريتين ، والكتيبة ٢٨٩ المشاه الاحتياط ، وتبدأ التحرك الساعة السادسة مساء ١ نوفمبر .

المجموعة الثانية :

باقى الكتيبة ١٧ المشاه ، وسريتين من الكتيبة ١٨ المشاه ، ورئاسة مجموعة اللواء ٦ المشاة ، وتبدأ التحرك الساعة السادسة والنصف مساءً .

المجموعة الثالثة :

سرية من الكتيبة ١٨ المشاه ، ووحدات المدفعية ، وتبدأ التحرك الساعة السابعة مساءً.

المجموعة الرابعة (المؤخرة)

باقى الكتيبة ١٨ المشاه ، وباقى الوحدات الأخرى ، وتبدأ التحرك الساعة السابعة والنصف مساءً .

وأبدى الجميع تفهماً للمسئولية ودقة الموقف ، فسارت الاستعدادات على قدم وساق فى هدوء وضبط نفس ، ولما اكتشفوا نقطة ملاحظة للعدو فوق جبل ضلفة تستطيع كشف

ما يحدث بالموقع ، دفعت الكتيبة ١٧ المشاة داورية قتال للتخلص منها ، فاتمت تنفيذ المهمة فى الساعة الثالثة عصراً.

وقبل أن يحل الظلام كان قد تم تعطيل الأسلحة والمعدات الثقيلة وإتلاف المخازن والأجهزة ، ودفن الكثير من الذخائر والأجزاء الرئيسية من الاسلحة والمعدات فى اماكن متفرقة ، داخل حفر عميقة أحسن إخفاؤها . ولستر عملية الانسحاب ، ظل عدد قليل من المدافع والرشاشات يطلق نيرانة المتقطعة بين الفينة والفينة حتى لاح ضوء الفجر [٣٦] .

وكان الجرحى غير القادرين على السير الطويل هم مشكلة المشاكل فتقرر تركهم هم والجرحى الإسرائيلين غير القادرين على السير ، داخل نقطة اسعاف الكتيبة ١٨ المشاة ، ومعهم كمية كافيه من المياه والطعام وبعض مواد الترفيه .

ورغم ما كانت تعانيه القوات من اجهاد شديد ، عبرت المجموعة الأولى مكسّر الفناجيل الشديد الوعورة برمالة المتهايلة الساعة السادسة ، فلم تصل بير لحفن إلا فى الساعة السادسة مساء ٢ نوفمبر ، بعد أن قطعت ٦٠ كيلو متراً لتجده خاليا من أية قوات مصرية . ولما واصلت السير إلى العريش وقعت فى أسر قوة إسرائيلية ، كانت رابضة على مشارفها الجنوبية .

ولاحظت المجموعات التالية الحرائق المشتعلة ببلدة العريش ، فتأكدت من أن العدو قد اجتاحها مما دفعها إلى الانحراف بالسير نحو الغرب فى اتجاه القنطرة ، حيث نجح أغلب الأفراد فى بلوغها فى منتصف نوفمبر بفضل ما قدمه بدو شمال سيناء من مساعدات كثيرة ، وما أبدوه من نخوة ومروءة .

عراك الأصدقاء[٣٥]

نجحت مجموعة اللواء السادس المشاة فى إخلاء الدفاعات ، دون أن يشعر بها العدو ، وكان الجنرال ديان قد تملكته سورة الغضب لتكرار فشل المجموعة ٣٨ عمليات فى اجتياح قاعدة أم قطف ، فاعتمد أمر سمحونى بعزل الألوف مشنيه شمويل جودير ، وتولى السجان ألوف إسرائيل طال القيادة مكانه[٣٦] ، وبعد أن أغلظ القول للألوف سمحونى أمره بمعاودة الهجوم قبل ظهر يوم ٢ نوفمبر .

وبدأ سمحونى هجومه الساعة ١٢ ظهراً بعد تمهيد نيرانى مركز من الطائرات والمدفعية ، أعقبه اندفاع سرية دبابات مجموعة اللواء ٣٧ الميكانيكى من الشرق ، وسرية دبابات أخرى من اللواء ٧ المدرع من الغرب . ولسوء التنسيق واهتزاز الأعصاب ، اشتبكت القوات ببعضهما بمجرد تقابلهما داخل المواقع الخالية قرب أم شيحان ، وظل مستمراً حتى تحطمت ٨ دبابات ويمكن اعتبار هذا الاشتباك أنة المعركة المدرعة الوحيدة التى جرت بين دبابة ودبابة فوق رمال سيناء فى خريف عام ١٩٥٦ (٣٧) .

حسانين يقع فى الاسر مرتين(٣٨)

ومن طريف ما حدث فى وسط تلك المحنة أن السجان ألوف أبرهام آدان قائد كتيبة الدبابات الموجودة بتقاطع « أبوعويقيلة » كلف العريف حسانين الذى وقع فى أسره هناك أن يسلّم رسالة لقائد موقع أم شيحان ، ينصحه فيها بالتسليم بعد أن أحيط به من كل الجهات ، وبعد أن زوّد آدان حسانين بمنديله الأبيض ليستأمن به نيران أم شيحان ، أمر بنقله داخل عربة نصف جنزير إلى أقرب مكان من الموقع . ولما استبطأ آدان عودة حسانين دفع سريته المدرعه لاقتحام الموقع الخالى الذى ظن أنه يرفض الاستسلام ، فحدث ما سبق ذكره من اصطدامها بسرية الدبابات القادمة من جهة الشرق ، حيث دار عراك الاصدقاء الذى حطم ثمان دبابات .

وبمجرد أن أدرك القائدان خطأهما وأوقفا الاشتباك شاهد آدان العريف حسانين يجول فى قلب الموقع ، وقد رفع المنديل الأبيض فوق رأسه ، وإلى جواره جريح يستند إليه ، وهو لا يكاد يقوى على السير وقد تخضبت ملابسه بالدماء .

وأرسل آدان عربة لإحضارهما ، فلما مثلا أمامه بادره حسانين القول بأنه لم يصادف بالموقع غير هذا الجريح الذى استلم منه الرسالة . وعندئذ آدان منديله ، ثم أمر بإعادة القبض على حسانين الذى ضرب رقمًا قياسيًا بالوقوع فى الأسر مرتين فى بحر ساعة زمن واحدة .

التعليق

لم يجافى الجنرال ديّان الحقيقة ، عندما وجه النقد الشديد لمجموعة العمليات ٣٨ فى كتاب يوميات معركة سيناء حيث قال . . (كان بقيادة الجنوب القوات الكافية لتحقيق

المهمة ، سواء من المشاه أو المدرعات أو المدفعية ، إلا أن الهجوم لم ينجح ؛ إذ كانت الخطة غير سليمة ، كما إن طاقة القتال لم تستغل على الوجه الأكمل)[٣٩] .

ثم لم يكتف ديّان بهذا القدر من الانتقاد اللاذع ، بل زاد عليه القول بأن أم قطف كانت المكان الذى حارب فية الإسرائيليون على أسوأ صورة ، بينما حارب المصريون على أفضل وجه ، وقد كان ديان صادقا فى كلا القولين[٤٠] .

فبفضل التخطيط الجيد لدفاعات أم قطف على المستوى التكتيكى ، وحسن تجهيز الموقع والاستحكامات وحقول الألغام ، مع عزم الجنود على الدفاع حتى اخر طلقة ،أمكنهم دحر الهجمات العديدة التى شنها عليهم الألوف مشنية يهودا والاش بلواءاته الأربعة من الشرق والجنوب والغرب ، واستمرار التشبث بالأرض فى مواجهة قوات تتمتع بالتفوق العددى الكبير ، وبالسيطرة الجوية الكاملة .

وأضافت شجاعة الرجال وقوة احتمالهم المزيد من الصلابة للدفاعات ، التى تجلت فيما قامت به المدفعية الميدانية والمضادة للدبابات من مهام بطولية ، وماحققه قائد الكتيبة ١٨ المشاه من هجوم مضاد كان مثالاً للجسارة والإقدام .

وجاء إسدال الستار على معركة أم قطف بطرفتين حربيتين ، انفرد بهما ذلك الصراع الذى احتدم ٦٥ ساعة متواصلة ، تمثلت أولاهما فى نجاح المدافعين فى التسلل خارج حلقة الحصار التى أحكمتها المجموعة ٣٨ عمليات حولهم ، دون أن يشعر أحد منها بخلو المواقع وتعطيل الأسلحة والمعدات وإخفاء الذخائر والمواد ، أما الثانية فكانت معركة الدبابة ضد الدبابة التى خاضتها مدرعات الألوف مشنيه بن آرى حول أم شيحان ، والتى لم تتوقف حتى قضت كل سرية منهما على بعض دبابات الأخرى .

ولا يعنى ما سبق أن كل الخطأ اقتصر على الجانب الإسرائيلى ؛ إذ إن ما حدث من بعض عناصر الكتيبة ٢٨٩ المشاه الاحتياط فوق تبنى النزاع صباح يوم ١ نوفمبر ، لم يكن هناك ما يبرره فى موازين الشرف العسكرى .

كما أن أعمال النسف التى قام بها المهندسون فى مضيق الضيقة ، دون أن تخصص لها قوة مناسبة لمراقبتها وغمرها بالنيران قلل من أهميتها ، وأتاح لمدرعات بن آرى أن تجتازها بشئ من العناء ، لتصل إلى مؤخرة الدفاعات المصرية من الغرب ، وتحكم حلقة الحصار حولها .

وبالمقابل ، فعلى الرغم من الحشود الضخمة التى اهتم الجنرال ديان بتوفيرها للألوف سمحونى أمام أم قطف ، والتى بلغت نسبة تفوقها العدى على القوات المصرية ٤,٥ : ١ فى المشاه ، و ١٨ : ١ فى المدفعية ، علاوة على اللواء المدرع واللواء الميكانيكى ، اللذين لم يكن تحت إمرة قائد مجموعة اللواء ٦ المشاه نظير لهما ، فإن القوات الإسرائيلية فشلت فى تحقيق مهامها ، وبدلاً من أن تتم الاستيلاء على دفاعات أم قطف خلال ١٢ ساعة على نحو ما قدرت القيادة الإسرائيلية ، استغرق هجومها المتكرر ٦٥ ساعة ، ولم ينجح فى اجتياح الدفاعات إلا بعد أن تسرب منها المدافعون وأصبحت خالية تماماً .

تبقى كلمة تتطلب أن نستبق الزمن لنقارن بين معركة أم قطف فى خريف ١٩٥٦ ، والمعركة التى دارت فى نفس المكان فى صيف عام ١٩٦٧ ؛ حيث كان حجم القوات المدافعة قد زاد إلى الضعف وعززته نحو ٨٠ دبابة لم تتوفر واحدة منها فى المعركة الأولى ، وكان حجم العدو المهاجم عام ١٩٦٧ نصف حجمه عام ١٩٥٦ ، بينما كان الموقف الجوى مماثلاً فى المعركتين حيث تسيدت الطائرات الإسرائيلية سماء المعركة ، إلا أن مصدر العجب أن تصمد دفاعات أم قطف فى خريف ١٩٥٦ فى وجه الهجمات المتكررة والمتفوقة ، على حين سقطت أمام الهجمة الأولى فى صيف ١٩٦٧ ، وليس ثمة شك فى أن تلك المفارقة تستحق من دارسى التاريخ العسكرى الكثير من إمعان النظر .

توثيق الفصل الخامس

(١) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٤٦ .

(٢) وزارة الحربية : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، الجزء الثانى ، ص ٢٠٦-٢٠٧ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٢٠٧-٢١١ .

(٤) المصدر السابق : الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص ١٤٦-١٥٢ .

(٥) Neff, Donald : Warriors At Suez (Vermont, 1988, Amana Books), pp. 381–382.

(٦) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٣٥-١٤٠ .

وأيضاً الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص١٤٥-١٥٢ .

وأيضاً حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، ص٢٢٥- ٢٤٠ .

Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 182–184.

Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 535–545.

(٧) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١١٣-١١٤ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ١١٣ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ١٠٨-١١٠ .

(١٠) المصدر نفسه : الصفحات نفسها .

وأيضاً : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 538.

وأيضاً : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، ص ٢٤٣-٢٥٣ .

وأيضاً المذكرات الشخصية للألوف مشينه عساف سمحونى ، الذى سقطت طائرته فوق جبال العجلون بالأردن يوم ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ، وعثر عليها بين حطام الطائرة .

(١١) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(١٢) Marshall, S.L.A.: Sinai Victory (New York : W. Monrow, 1958), p. 216.

(١٣) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٧ .

(١٤) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٠٨ - ١١٠ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١١٤ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ١١٧ - ١١٨ .

(١٨) المصدر السابق ، حرب العدوان الثلاثى على مصر ، الجزء الثانى ، المجلّد الأول ، ص ٢٧٤ .

(١٩) المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٢١) Op. Cit.: Elusive Victory., pp. 165 - 166

(٢٢) Op. Cit. The Twice Fought War, pp. 543 - 544

(٢٣) المصدر السابق ، حرب العدوان الثلاثى على مصر ، الجزء الثانى ، المجلد الأول ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨٦ - ٢٩٠

(٢٥) المصدر السابق ، يوميات معركة سيناء ، ص ١٢٥ - ١٢٦

وأيضاً : Tevet, Shabtai : I.D.F. Campaign in Sinai (Jerusalem, Schocken, 1957), pp. 183–187.

Yorman, Pinhas : Operation Kadesh (I.D.F. Campaigns), : وأيضاً
pp. 205–209.

(٢٦) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(٢٧) مقابلة شخصية مع اللواء أح / مصطفى الجمل ، بمجرد عودته من أم قطف ، فى نهاية شهر نوفمبر ١٩٥٦ ، منسحباً . مع جماعة من مرؤوسيه على الأقدام .

(٢٨) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، ص٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٢٩٣ - ٢٩٨ .

Op.Cit.: I.D.F. Campaign in Sinai, pp. 188–193. : وأيضاً

(٣٠) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 541–544.

(٣١) وكان رئيس أركان سمحونى هو المقدم إسحق حوفى . Ibid.

(٣٢) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٣٣) المصدر نفسه : ص ٢٩٩ - ٣٠١ .

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٣٥) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٤٥ .

Elusive Victory, p. 183. : وأيضاً

(٣٦) المصدر نفسه - ص ١٤٨ .

(٣٧) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(٣٨) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

Op. Cit., Ilusive Victory, pp. 183 - 184. : وأيضاً

كما قام صف ضابط إسرائيلى بقطع جزء حساس للأسيرين ، ثم أطلقهما نحو الدفاعات المصرية ليفت منظرهما الدامى فى عضد المدافعين المصريين ، وقد استشهد الضحيتان بعد برهة وجيزة .

انظر أيضاً : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 541.

(٣٩) المصدر نفسه ، ص ١٤٦ .

(٤٠) المصدر نفسه - الصفحة نفسها .

الفصل السادس

تسلسل الأحداث على المحور الشمالى وقطاع غزة

معركة رفح

مقدمة - تأثير طبيعة الأرض - خطة الدفاع - قوات العدو المكلفة بالهجوم - الخطة التفصيلية للهجوم - ملخص المعركة - الضربة الرئيسية - اجتياح الدفاعات من الشرق والجنوب - موقف قوات المجموعة ٧٧ عمليات صباح ١ نوفمبر - انسحاب قوات مجموعة اللواء ٥ المشاه من رفح - التعليق.

مقدمة :

منطقة رفح هى مفتاح الموقف بالنسبة للمحور الشمالى وقطاع غزة بمحاذاة ساحل البحر المتوسط ، فهى تصل بين القطاع وسيناء وتعتبر خط الدفاع الأول عن العريش التى يترتب على وصول العدو إليها فقد آخر معاقل الدفاع على الاتجاه الشمالى .

وتحيط بالمنطقة أرض صحراوية مفتوحة تقل بها المزروعات وتكثر الكثبان الرملية التى تعوق التحركات ؛ خاصة فى المنطقة المتاخمة لساحل البحر حتى خان يونس شمالاً والشيخ زويد غرباً ، وكثبان العجرة جنوباً والتى تقع على مسافة ١٥ كيلومتراً من رفح .

وتنتشر فى منطقة رفح مجموعة من التضاريس الأرضية قليلة الارتفاع ، التى تمتد فى شكل قوس يلتف حول شمال رفح الشرقى حتى جنوبها ويشرف على الأرض المجاورة له . ويمر برفح خط السكة الحديدية الذى يصل مدينة غزة بالقنطرة شرق ، كما تلتقى بها مجموعة من الطرق والمدقات الهامة ، التى تتفرع إلى غزة شمالاً والعوجة جنوباً والعريش غرباً .

وتشكل التضاريس الأرضية سالفة الذكر خطين طبيعين للدفاع عن رفح ، يمر الأول منهما بتباب خبرة العدس (النقطة ٨١) ، والبيوكى (النقطة ٨٣) ، وزارع (النقطة ٨٢) ، ولطفى (النقطة ١٠٣) ، والقبة (النقطة ١٠٤) ، وجوز أبو رعد (النقطة ٨٧) ، وكرم إبن مصلح (النقطة ٩٦) ، وجوز أبو عودة (النقطة ١٠٥) وكانت جميعها موضع قتال ضارٍ فى الجولة الأولى فى ختام سنة ١٩٤٨ ومطلع ١٩٤٩ ·

أما الخط الثانى فيمر بتبة الأسرى (النقطة ٩٦) ، وتبة الماكينة ، وتبة ضرب النار (النقطة ٨١) ، وتبة هاشم (النقطة ٩٢) وتبة الماسورة ثم تبة المجرونتين ·

ولهتين التبتين الأخيرتين ذكر فى صفحات التاريخ ؛ إذ كان خط أنابيب المياه الذى مدته القوات البريطانية عبر شمال سيناء فى الحرب العالمية الأولى قبل غزو فلسطين ، ينتهى عند تلك التبة . أما المجرونتين - وهما الشجرتان المقرونتان ببعضهما - فيتوارث الأحفاد عن الأسلاف أنهما كانا المكان الذى تلقى فيه الصحابى الجليل عمرو بن العاص رسالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، يأمره بأن يرجع إن لم يكن قد دخل أرض مصر بعد ، وأن يمضى على بركة الله إن كان قد دخلها . فلما أكد له الصحابة أنهم قد أصبحوا داخل أرض مصر استأنف عمرو المسيرة على بركة الله ليفتحها عام ٦٤١ ميلادية ·

تأثير طبيعة الأرض :

نظراً لاهمية منطقة رفح فقد أولتها القيادة الشرقية الأسبقية الثانية بعد منطقة أم قطف ، ولأن التشبث بهما كان يستدعى توفير عمق كافٍ للدفاع عنها ، وهو ما لم يكن حجم القوات المتيسرة يسمح به ·

وقد أرغمت قلة قوات مجموعة اللواء الخامس المشاه العقيد جعفر العبد أن يقصر مواجهته على سلسلة تباب الخط الأول سالفة الذكر ، فيما بين البيوكى شرقاً والماسورة غرباً بطول ١٥ كيلومتراً ؛ مما أجبره على اتخاذ أسلوب الدفاع على مواجهة واسعة ، وتحويل التباب إلى جزر دفاعية ذات كفاية قتالية وإدارية ذاتية ، مع الاستعانة بحقول الألغام الوقائية لسد الثغرات بين تلك الجزر ، إلى جانب إقامة حقل ألغام تكتيكى لتغطية تلك المواجهة الواسعة ، ومنع العدو من تطويق الدفاعات من الجنوب ، غير أن قيمة هذا الحقل كانت ترتبط بقوة الحراسة التى تخصص لمراقبته ، وتوفر الاحتياطى المحلى القادر على التدخل

الفورى ضد العدو ، الذى يحاول اختراقه ، ولم يكن العقيد العبد يملك من القوات ما يستطيع به أن يوفر للحقل شيئًا من ذلك .

ولم يكن يغيب عن ذهن العقيد العبد أن الهيئات الأرضية المنتشرة شرق وجنوب منطقته الدفاعية توفر للعدو أماكن حشد واقتراب مستورة لمباغتة دفاعاته تحت جنح الظلام ، ولذلك فقد اهتم بتجهيز نيران مدفعيته الميدانية لتصلى العدو المقترب ناراً حامية أثناء فتحه للهجوم ، إما أماكن الحشد التى تقع خارج المدى .. فقد كان يأمل أن تتولى القوات الجوية أمرها .

ولم يدخر قادة الوحدات الفرعية جهداً فى تجهيز الدفاعات ، وتعميق الحفر والخنادق ، والاهتمام بالإخفاء والتمويه ، وإعداد المواقع التبادلية والهيكلية ، إلا أن وجود تلك الدفاعات على اتصال مباشر بالعدو ، جعل من المتعذر توفير الأمن والاستتار الكافى لها فضلاً عن استحالة إقامة نطاق أمن أمام الدفاعات ، يستطيع ستر الأنشطة التى تجرى فى المنطقة الدفاعية ، وإجبار العدو عندما يبدأ الهجوم على الفتح المبكر ، لتحديد اتجاه مجهوده الرئيسى توطئة لتركيز أكبر قدر من النيران الدفاعية عليه .

وكان العقيد العبد يميل إلى استبعاد قيام العدو بتطويق دفاعاته من الجنوب لطول المسافة ووعورة الأرض وقوة الدفاع على هذا الجانب ، ولهذا فقد ركز الأنظار على احتمال محاولة العدو قطع طريق رفح العريش ، الذى يعتبر شريان المواصلات الوحيد ، مع قيادة الفرقة الثالثة المتمركزة بالعريش .

خطة الدفاع : [1]

كان العقيد جعفر العبد على دراية واسعة بطبيعة المنطقة المكلَّف بالدفاع عنها ، وبفضل كفاءته العالية .. إهتدى إلى أفضل الحلول بما هو متيسر له من قوات قليلة ، فى أن يركز جهوده فى جنوب وشرق رفح ، مع الاحتفاظ باحتياطى مناسب فى موقع المجرونتين فى الخلف .

كما اهتم بإقامة نظام محكم للمراقبة والإنذار على طول المواجهة ، ودفع نقط ملاحظة ثابتة نهاراً وداوريات استطلاع متحركة وكمائن ليلاً لتفتيش الأرض ، ومراقبة مستعمرات العدو ومحاور اقترابه المحتملة .

وتشكّل العقيد العبد للقتال فى نسق واحد ، واحتياطى محلى وقوة ساترة كالآتى : (٢)

النسق الأول :

ويضم مجموعة الكتيبة ١٤ المشاه قيادة المقدم عبد العزيز كامل ، وسرية من الكتيبة ١٥ المشاه فى المجهود الرئيسى على يسار الدفاعات ، بينما تحتل الكتيبة ٤٣ حرس حدود فلسطين عدا سرية الجانب الأيمن .

الاحتياطى :

ويضم الكتيبة ١٥ المشاه ، عدا سرية قيادة المقدم أحمد عبد السلام توفيق ، والأورطة الأولى المدرعة .

القوة الساترة :

وتضم سرية من الكتيبة ٤٣ حرس حدود فلسطين والأورطة الأولى سيارات الحدود .

ثم نظم العقيد العبد منطقته الدفاعية فى موقع دفاعى من ثلاثة خنادق ، ومنطقة تمركز للاحتياطى المحلى فى المجرونتين - طويل الأمير ، كالآتى :

١ - اتخذ الموقع الدفاعى شكل النقط القوية بالفصائل ، مع سيطرة قائد السرية على كل ثلاث فصائل متجاورة منها .

٢ - مر الحد الأمامى للدفاعات بالميول الأمامية لتباب البيوكى وزراع ولطفى والقبة وجوز أبوعودة وكرم إبن مصلح والماسورة .

٣ - وارتكز الخندق الثانى على النقط القوية بالفصائل الخلفية من السرايا الأمامية فيما بين تباب الجنينه والأسرى وفتحى ، إلا أن هذا الخندق لم يشكل خطاً متصلاً يكفل العمق للخندق الأول ؛ نظراً لطبيعة الأرض التى لم تكن تسمح بذلك .

٤ - ومر الخندق الثالث بمواقع السرايا الخلفية فى خبرة العدس وأم عمد والماكينة والصفيح والقشلاق والفنطاس .

٥ - وتمركز الاحتياطى المحلى بين المجرونتين وطوال الأمير .

واحتل الآلاى الخامس مدفعية الميدان قيادة المقدم حسين عوض على ، مرابضه فى معسكرات رفح لتغطية حقل الألغام التكتيكى بتجمعات نيران لمنع العدو من اختراقه ، ومعاونة نقط الإنذار والقتال التعطيلى جنوب رفح . كما كلف أيضاً بضرب تجمعات نيران على مناطق الفتح المحتملة للعدو ، وصد هجومه على الحد الأمامى بالغلالات الثابتة ؛ فإذا ما نجح العدو فى الاختراق كان على الألاى معاونة الهجوم المضاد بكل إمكانياته النيرانية .

ونسقت البطارية ٩٥ المضادة للدبابات ذاتية الحركة نيرانها ؛ بهدف تدمير مدرعات العدو على طرق الاقتراب وخلال هجومها على الحد الأمامى ، مع الاستعداد لمعاونة الهجوم المضاد على مستوى الكتائب أو اللواء .

وقامت البطارية ١٧ المضادة للطائرات بتنسيق الدفاع عن الأهداف الحيوية بالمنطقة ، وقد خصت مرابض نيران المدفعية الميدانية بالأسبقية الاولى هى ، ومنطقة تمركز الاحتياطى المحلى ، ومركز قيادة مجموعة اللواء ٥ المشاه . كما تأهبت لتدمير العدو البرى إذا لم تكن هناك أهداف جوية تشغلها .

أما القوة الساترة فقد كلفت بمنع الاقتراب المفاجئ لقوات العدو من جهة الجنوب ، وتوفير الإنذار المبكر والقتال التعطيلى ضد أى قوة تتقدم على محور العجرة - رفح بالأسلوب الآتى :

١ - سرية المشاة من الكتيبة ٤٣ حرس حدود فلسطين ، وعليها حراسة حقل الألغام التكتيكى بوضع نقط إنذار داخلة وعلى حافته الخلفية ، مع تأمين موقع جوز « أبو رعد » كخط فتح لقوة الهجوم المضاد المحلى ، إذا ما دفعت للعمل على هذا الاتجاه .

٢ - الأورطة الأولى سيارات حدود وعليها تأمين نقطة تلاقى طريق العوجة - رفح مع خط الحدود الدولية بتروب سيارات ؛ لتوفير الإنذار المبكر عن تحركات العدو على الطريق ، مع تعطيل تقدمه بينما تقوم باقى الأورطة بتأمين حقل الألغام الخلفى مرتكزة على منطقة جوز « أبو رعد » ، وذلك بإنشاء ست نقط إنذار داخل وخارج ذلك الحقل .

وأكد العقيد العبد على قادة الكتائب المشاه ضرورة الاهتمام بالدوريات والكمائن ، مع استمرار تغيير مواقعها وتكليفها بتغطية الثغرات بين المنطقة الدفاعية للواء ٥ المشاه ، ودفاعات

الفرقة الثامنة الفلسطينية بقطاع غزة ، وكذا الثغرة الواقعة بين الكتيبة ١٤ ، والكتيبة ٤٣ حرس حدود فلسطين .

قوات العدو المكلفة بالهجوم[٣]

استعدت المجموعة ٧٧ عمليات قيادة الألوف حاييم لاسكوف ؛ للهجوم على محور رفح العريش ، وقد تضمنت مجموعة اللواء الأول الجولانى قيادة الألوف مشنيه بنيامين جيبلى ، ومجموعة اللواء ١١ المشاة قيادة الألوف مشنيه أهارون دورون ، ومجموعة اللواء ٢٧ المدرع قيادة الألوف مشنيه حاييم بارليف .

كما وضع تحت قيادة لاسكوف أيضًا مجموعة اللواء ١٢ المشاة ، المكلفة بالهجوم على قطاع غزة بقيادة الألوف مشنيه دافيد اليعازر.

وزودت مجموعة لاسكوف بست كتائب مدفعية ميدان ، وكتيبتى مدفعية متوسطة ، وكتيبة مهندسى اقتحام ، كما خصص لها مجهود جوى كبير خلال المراحل التالية للهجوم التى سوف تتم فى ضوء النهار .

وشكل لاسكوف مجموعته فى نسقين واحتياطى عام كالاتى :

١ - النسق الاول وقد ضم مجموعة اللواء الأول المشاة (الجولانى) ، وكتيبة ميكانيكية من مجموعة اللواء ٢٧ المدرع ، وسريتى دبابات ، وكتيبة مهندسى اقتحام .

٢ - النسق الثانى ، وقد ضم باقى مجموعة اللواء ٢٧ المدرع وسرية مهندسى اقتحام.

٣ - أما الاحتياطى العام فقد تشكل من مجموعة اللواء ١١ المشاة 0

الخطة التفصيلية للهجوم[٤]

رسم لاسكوف خطته للهجوم على رفح من ثلاثة اتجاهات متلاقية ؛ بحيث يلتف الاتجاه الأول حول الجانب الجنوبى للدفاعات فى المرحلة الأولى ، على أن تعقبها المرحلة الثانية التى تزحف خلالها القوات على الوسط والجناح الشمالى للمنطقة الدفاعية ؛ طبقًا للتوزيع التالى :

١ - الهجمة الجنوبية ، وتقوم بها كتبة مشاة محمولة من مجموعة اللواء الأول المشاة ، ومعها كتيبة مشاة ميكانيكية من نفس اللواء وسرية دبابات خفيفة آ . م إكس من مجموعة اللواء ٢٧ المدرع ، وسريتى مهندسى اقتحام .

٢ - الهجمة الوسطى ، وتقوم بها كتيبتا مشاة من مجموعة اللواء الأول المشاة ، وبعض العناصر من مهندسى الاقتحام وأسلحة الدعم .

٣ - الهجمة الشمالية وتقوم بها كتيبة مشاة ميكانيكية من اللواء ٢٧ المدرع ، وبعض العناصر من مهندسى الاقتحام وأسلحة الدعم .

وقسمت خطة الهجوم فى مرحلتين متتاليتين ، تبدأ الأولى بالهجوم فى الساعة الثامنة مساء ٣١ أكتوبر عقب انتهاء الضربة الجوية الأنجلوفرنسية مباشرة ؛ بهدف الاستيلاء على تقاطع الطرق المجاور للماسورة قبل انبلاج الفجر ، وتبدأ المرحلة الثانية فى الساعة الثانية ليلاً بعد تمهيد نيرانى من المدفعية الميدانية الإسرائيلية ومدافع الأسطول الفرنسى بهدف الاستيلاء على الأهداف الحيوية فى الشرق والجنوب ، ثم الالتقاء بقوات المرحلة الأولى عند الماسورة قبل أن ينبلج الفجر أيضًا .

ثم يستغل النجاح فى اتجاه العريش ، اعتبارًا من الساعة الخامسة والنصف فجر نوفمبر ١٩٥٦ .

ملخص المعركة : (١٥ ساعة فيما بين آخر ضوء يوم ٣١ أكتوبر . وضحى يوم ١ نوفمبر) [٥] (انظر الخريطة رقم ١٠)

دارت معركة رفح تحت ظروف مضطربة لكثرة العوامل السياسية والعسكرية ، التى تدخلت فى مجرياتها ، والدرس القاسى الذى شغل أذهان ديان وسمحون ولاسكوف نتيجة فشل هجوم جولندا على « أبو عويقيلة » طيلة اليوم السابق ، والذى لم يكن قد لاحت أية بادرة لنجاحه حتى ذلك الوقت .

من أحكام القدر أنه بينما كانت قوات لاسكوف تستعد للهجوم الليلى على رفح ، كانت القيادة العامة المصرية تستعد لإصدار توجيهاتها بإيقاف القتال فى شبه جزيرة سيناء استعداداً لسحب كافة قواتها إلى غرب القناة ؛ لمواجهة خطر الغزو البحرى الأنجلوفرنسى ، الذى تحول بعد الضربة الجوية الأنجلوفرنسية من مجرد احتمال إلى شبة يقين

وبمجرد أن غربت الشمس ، بدأت قوات الهجمة الجنوبية تحركها الى خط الابتداء ، تتقدمها سريتا مهندسى الاقتحام اللتان وصلتا فى الساعة السابعة إلى حقل الألغام التكتيكى وبدأتا فى فتح الممرات الثلاثة المقررة ، فيما بين نقطتى المدفونة وإتلة الطايرة ، وخلال ذلك كانت الستارة المصرية قد اكتشفت هذه التحركات الإسرئيلية ، ووجهت ضدها نيران الرشاشات المتوسطة التى راحت توقع بها الخسائر .

ورغم اكتشاف الهجوم . . فقد ظلت القوات الإسرائيلية لاترد على النيران المصرية ؛ حتى لاتكشف عن مواقعها بدقة وهى متورطة داخل حقل الألغام ، الذى كان العقيد العبد يوليه عنايته الفائقة وقتذاك .

إلا أن التصنت على شبكات العدو اللاسلكية حدد أماكن العدو داخل حقل الألغام ، وتابع تحركاته داخل الممر الوحيد الذى نجح مهندسو الاقتحام فى شقه . وعلم العقيد العبد من الإشارات الملتقطة أن ثلاث سرايا قد دفعت خلال هذا الممر ؛ لتهاجم الاولى منها نقطة المدفونة ، والثانية إتلة الطايرة ، بينما كان على الثالثة -وهى المحمولة فى عربات نصف جنزير -أن تحمى الجانب البعيد للحقل وتؤمنه .

وكان على السرية الثالثة المحمولة
فى عربات نصف جنزير
أن تحمى الجانب البعيد لحقل الألغام

ووقع الهجوم الاول على إتلة الطايرة التى سقطت سريعًا ، بينما ظلت نقطة المدفونة تتمسك بمواقعها وتوجه نيران رشاشاتها ضد السرية المهاجمة حتى أجبرتها على التوقف . وبالغ قائد السرية فى وصف صعوبة المهمة ، وماتتعرض له قواته من نيران إلا أن قائد الكتيبة عنفه وشدد عليه الأمر بضرورة إنجاز مهمته ، واحتلال الهدف المحدد ، مهما صادف من صعوبات . ولم يجد قائد السرية الذى كان قد تخاذل وفقد أعصابه تماماً إلا أن يعمد إلى الكذب ، فراح يصف لقائد الكتيبة معركة وهمية ، ختمها بسقوط نقطة المدفونة بينما كان يرقد هو وجنوده داخل حقل الألغام إلى أن كشف ضوء الصباح الباكر حقيقة أمره .[٦] وما إن علم ديان بذلك حتى أمر بطرده من الخدمة العسكرية .

وفى العاشرة مساءً ، بدأت الهجمة الوسطى بتحرك كتيبة المشاه فى اتجاه تقاطع الطرق ؛ حيث دخلت حقل الألغام بعد مسيرة ساعة كاملة ، وراحت تسبر غوره بحذر شديد . ورغم الحيطة الزائدة فقد مرت عربة نقل جند فوق لغم مزقها شر ممزق ، ثم أعقبتها دبابة تحطم جنزيرها ، وسدت الممر الوحيد الذى طهره المهندسون فتوقفت الكتيبة عن التقدم ، بينما المدفعية المصرية تصلى حقل الألغام بنيرانها الحامية ، التى أصابت عدداً قليلاً من المركبات ساعدت النيران التى اندلعت فيها فى كشف المكان الدقيق للقوات الإسرائيلية فانصبت عليها حمم الجحيم من المواقع الدفاعية القريبة .....

وترك الجنود الإسرائيليون مركباتهم ليحتموا بالتضاريس الأرضية والشجيرات الصغيرة ، وفقد قائد الكتيبة الأمل فى عبور الحقل ، رغم أن الألوف مشنيه جيبلى قائد لواء الجولانى لم يقبل منه أى مبررات ، وأصر على مواصلة الزحف ، مهما كان الثمن للوصول إلى موقع الماسورة قبل أول ضوء[٧] .

وفى الوقت نفسه ، أصدر لاسكوف تعليماته للقوة المدرعة الموجودة بالخلف ، بأن تعاون فى اقتحام الدفاعات للوصول إلى تقاطع الطرق عند الماسورة ؛ فقامت بتخصيص عنصر مدرع لمعاونة الهجمتين الجنوبية والوسطى ، بينما إحتفظت بعنصر ثالث على استعداد لاستغلال النجاح حيثما يتحقق .

وتكرر الفشل فى فتح ثغرة جديدة بدلاً من الثغرة التى سدتها الدبابة العاطلة ، وراحت الخسائر تتكدس داخل الممر بينما العربات والناقلات السليمة ترتد وهى خالية من الجنود

الذين تبعثروا خلف التبات الأرضية والشجيرات وكتل الحشائش والكلأ هرباً من النيران المصرية[٨] .

ولما عاود قائد الكتيبة الاقتراح بالانسحاب من الحقل صوناً للدماء التى تراق بلا طائل ، رفض جيبلى وبادر بالتوجه إلى مكان هذا القائد ؛ ليدرس موقفه على الطبيعة . ولما تبين له مدى تورط الكتيبة وسوء موقفها ، وافق على أن توقف هجومها مؤقتاً ، وتنتظر حتى نبدأ الهجمة الشمالية ؛ أملاً فى أن تخف نيران المدفعية على الممر المسدود فى حقل الألغام ، بما يتيح للهجمة الوسطى أن تستأنف هجومها نحو الماسورة .

الضربة الرئيسية [١٠]

عندما التقى عقربا الساعة عند الثانية عشرة من ليلة ٣١ أكتوبر / ١ نوفمبر ، كسرت المدفعية الإسرائيلية عملية الهجوم الصامت فجأة ، وراحت تمطر بنيرانها دفاعات رفح الشرقية والجنوبية فى البيوكى والشوكة والقبة بتركيز شديد . ثم انضم الطراد الفرنسى جورج ليجوس إلى نيران التمهيد ؛ فأطلقت مدافعه ذات العيار الكبير نيرانها فى الساعة الثانية صباحاً على معسكر رفح والدفاعات المجاورة له ، واستمرت تقصفها مدة نصف ساعة ، أطلقت خلالها ٤٠٠ قذيفة عيار ١٥٥ ملليمتراً . ورغماً عن المفاجأة التى حققها هذا الضرب . . فإن تأثيره الفعلى على الدفاعات كان ضئيلاً .

ولم تكد القذيفة الأخيرة تستقر وسط المعسكر دون أن تنفجر ، حتى بدأت أعداد كبيرة من المقاتلات القاذفة الغارة على الدفاعات ، تحت ضوء المشاعل التى ألقتها الطائرات القائدة فى نفس الوقت ، الذى توقفت فيه قوات الألوف لاسكوف أمام الدفاعات ، فى انتظار الأمر ببدء الضربة الرئيسية .

وحدث خطأ فظيع عندما انقضت تلك المقاتلات القاذفة على هذه القوات الصديقة المتوقفة داخل حقل الألغام فأمطرتها بقنابلها . وإكتشف لاسكوف الخطأ ، فطلب وقف التمهيد الجوى فوراً ، وأعيدت الطائرات للشرق ؛ لتبدأ التمهيد مرة أخرى ضد الأهداف الصحيحة ، إلا أن هذا الارتباك تسبب فى تأخير ساعة "س" إلى الثالثة والنصف يوم ١ نوفمبر ، فضلاً عما أوقعه فى معنويات الجند الذين تعرضوا لتلك النيران الصديقة من اهتزاز .

اجتياح الدفاعات من الشرق والجنوب [١٠]

بدأ لاسكوف ضربته الرئيسية فى الساعة الثالثة والنصف فجراً ، واحتدم القتال الشديد بين الجانبين المتحاربين مدة أربع ساعات متصلة ، توالى فيها اجتياح المواقع الدفاعية الواحد تلو الآخر ، بعد مقاومة عنيفة ، سقط خلالها معظم أفراد أحد تلك المواقع شهداء ، بعد أن نفدت ذخيرتهم تماماً .

ودارت خلال هذه الساعات الأربع ثلاثة اشتباكات رئيسية على النحو التالى :

الاشتباك الاول فى موقع المحرمة - جوز « أبو عودة »[١١]

١ - تصدت سرية مشاه وفصيلة على مواجهة ١٢٠٠ متراً فى نسق واحد ، وبلا عمق دفاعى لهجوم كتيبة مشاه معززة بسرية ناحال ، بما ناهز الخمس سرايا ، تعاونها عناصر من مجموعة قتال مدرعة ، اجتازت خط الابتداء ساعة "س" تحت ستر نيران التمهيد من الطائرات والمدافع ، التى استمرت بتركيز شديد على التبتين لمدة عشر دقائق . وفى الثالثة والأربعين دقيقة انقضت القوة الإسرائيلية على تبة المحرمة من الشرق والجنوب ، فلما أصبحت داخل المرمى المؤثر فتحت عليها القوات المدافعة نيران الرشاشات والهاونات والأسلحة الصغيرة .

٢ - وفشلت القوات الإسرائيلية فى فتح ثغرة فى حقل الألغام الوقائى ، حول التبة بطوربيد البنجالور بينما نجح مهندسو الاقتحام فى قطع ممر فى الأسلاك الشائكة التى تحيط بالتبة ، فأمطرتها القوات المدافعة بنيرانها الغزيرة التى أجبرت المهاجمين على اتخاذ السواتر ، وقد عزم البعض منهم على النكوص خوفاً من الإبادة [١٢] .

٣ - وأخيراً نجح مهندسو الاقتحام فى الساعة الرابعة النصف فى تطهير ممر فى حقل الألغام الوقائى زحفت خلاله قوة الكتيبة ، وارتقت التبة ؛ حيث دار قتال متلاحم استمر نحو الساعة ، توقفت بعدها المقاومة ، بينما كان قرص الشمس يبزغ من جهة الشرق على فجر يوم ١ نوفمبر[١٣] .

٤ - وانضم من بقى حياً من جنود التبة المحرمة إلى إخوانهم ، بجوز « أبو عودة » ودبابات العدو تلاحقهم بنيرانها ، التى سرعان ما ركزتها على الهدف الجديد .

وبعد أن أعادت الكتيبة المشاه المهاجمة التنظيم ، تقدمت نحو جوز « أبو عودة » مستفيدة من خنادق المواصلات ، التى تربط الموقعين فوصلت إلى مؤخرة التبة لتهاجمها من الخلف [١٤] .

٥ - وحول المدافعون نيرانهم إلى الاتجاه الجديد ، إلا أن الكثرة غلبت الشجاعة ؛ فتوقفت المقاومة فى جوز « أبو عودة » حوالى الساعة السادسة صباحاً ، إلا أن قيادة اللواء الخامس المشاه لم تعلم الخبر حتى السابعة ؛ نظراً لاستشهاد معظم أفراد الموقع وانقطاع جميع أسلاك الهاتف .

الإشتباك الثانى فى موقع لطفى - الأسرى [١٥]

١ - تشابه هيكل الدفاع فى هذا الموقع بدفاعات المحرمة - جوز « أبو عودة » من حيث طول المواجهة ، التى ناهزت أيضاً ١٢٠٠ متراً ، وقلة القوات التى أجبرت قائد الموقع على تنظيمها فى نسق واحد واحتياطى .

٢ - ووقع الموقع تحت قوة هجوم تزيد على الكتيبة المشاه ، التى تعززها عناصر مدرعة ومهندسو الاقتحام السابق تخصيصهم للعمل مع قوات الهجمة الأولى فى العاشرة مساء . وكانت الخطة هذه المرة مشابهة أيضاً لخطة الهجوم على المحرمة - جوز « أبو عودة » من حيث البدء بتمهيد الطائرات والمدافع ؛ لستر عملية فتح الثغرات فى حقول الألغام الوقائية ؛ ليندفع منها الجنود وحاملات الأفراد المدرعة ؛ لتطويق الموقع من الجانبين ، ثم مواصلة الزحف إلى تبة الأسرى ؛ لاقتحامها من الخلف والأجناب ، بينما تقوم الدبابات بالضرب المباشر على أوكار النيران بالتبتين .

٣ - وفى الساعة الثالثة والنصف ، اجتازت الكتيبة المهاجمة خط الابتداء ؛ أى فى نفس الوقت الذى بدأت فيه كتيبة الأشتباك الأول هجومها . إلا أن بعد خط الابتداء مسافة كيلومترين عن تبة لطفى ، التى تبعد عن خط الهدنة بنحو كيلومتر استغرق من الكتيبة المهاجمة وقتاً طويلاً ، وتسبب فى أن تفقد الاتجاه الصحيح ، وتتبعثر عناصرها فى عدة اتجاهات ، وتشرد منها السرية الميكانيكية [١٦] .

٤ - وخلال هذا الارتباك ، ظل الجنود فوق تبة لطفى ، يتابعون العدو فى انتظار لحظة دخوله المرمى المؤثر . وبمجرد أن نجح قائد الكتيبة المهاجمة فى إعادة جمع قواته

ودفعها فى الأتجاه الصحيح ، انطلقت النيران المصرية من كافة الأسلحة والأعيرة فأوقعت فى المهاجمين عدة خسائر ، دفعت البعض إلى الارتداد للخلف .

٥ - إلا أن تلك النيران حددت للعدو تفصيلات الموقع ، فلما عاود قائد الكتيبة الهجوم ، وهو على ثقة كاملة من أهدافه ، ساعده ضوء الفجر على تحديد أجناب الدفاعات التى هاجمها بعد تحضير قصير .

٦ - ومع أول ضوء ١ نوفمبر وصلت المقاتلات القاذفة لتلقى النابالم ، بينما تكتسح الدبابات التبة بنيرانها ، والرشاشات تغطى أجنابها . وتحت ستر هذه النيران وحرائق النابالم ، تمكنت عناصر مهندس الاقتحام من تطهير ممر عند الطرف الشمالى للتبة ، نفذت منه المشاه المدعمة بالدبابات ؛ لتسيطر على الموقع بعد أن إستشهد أغلب أفراده [١٧] .

٧ - ولم يستطع قائد الكتيبة ١٤ المشاه الذى كان يتابع القتال من مركز قياته فوق تبة لطفى ، أن يصبر لأكثر من ذلك ؛ فأرسل فصيلة مشاه على حاملات أفراد مدرعة لتنجد الموقع الذى بدأ ينهار . وأندفعت الفصيلة من تبة الماكينة نحو تبة لطفى إلا أن دبابات العدو كانت لها بالمرصاد فأجبرتها على العودة من حيث أتت ، بعد أن دمرت ثلاث حمالات بما فيها من جنود . وكانت الساعة وقتئذ السابعة صباحًا ، عندما بدأ قائد الكتيبة التعزيز على تبة لطفى ، قبل أن يبدأ التعامل مع تبة الأسرى ، التى كانت محاطة بالعدو من كل اتجاه ، وقد أصبح يتمتع بحرية الحركة فى عمق الدفاعات دون عائق[١٨] .

٨ - واعتمادا على تلك المزايا ، قرر قائد الكتيبة الهجوم على تبة الأسرى بالدبابات وحاملات الأفراد المدرعة من الجانبين والمؤخرة . وبقى الجنود المدافعون فى أماكنهم يحاولون عبثًا وقف الموجات المتلاحقة التى تجتاح موقعهم ، إلا أن العدو أتم احتلال تبة الأسرى حوالى الساعة الثامنة صباحا ؛ فانفتح أمامه الطريق إلى خان يونس ومنطقة معسكر رفح[١٩] .

الاشتباك الثالث والأخير فى موقع البيوكى - زراع[٢٠]

١ - احتل بعض عناصر الحرس الوطنى الموقع الأمامى فى تبة البيوكى فى أقصى

الشرق ، بينما ركزت سرية مشاه دفاعاتها فى موقعى زارع والجنينة ، فاحتلت السرية عدا فصيلة زارع كنسق أول، بينما احتلت فصيلة المشاه الجنينة كنسق ثانٍ ·

٢ - وفى مقابل تلك القوات القليلة والمواجهات المتسعة ، خصص الألوف مشنيه حايم بارليف كتيبة مشاه ميكانيكية من مجموعة اللواء ٢٧ المدرع ، ودعمها بمجموعة قتال مدرعة لاستغلال النجاح نحو الماسورة ، بمجرد اختراق الموقع الدفاعى من المواجهة والجانب الجنوبى ؛ حيث تتولى كتيبة المشاه الميكانيكى تأمينه من اتجاه قطاع غزة ·

٣ - وفى الساعة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة ، اجتازت كتيبة المشاه الميكانيكية خط الأبتداء ، وبعد مسيرة ربع ساعة وهى على مسافة كيلومترين من البيوكى ، تمكنت نقطة ملاحظة المدفعية من اكتشافها ، وصوبت عليها النيران التى أنزلت بها بعض الخسائر ·

٤ - وتوقفت الكتيبة وراحت المركبات تنتشر هنا وهناك ، بينما يحاول القائد إعادة تنظيمها ، وحصر خسائر التى أزعجه فقد قائد سرية وثلاثة من قادة الفصائل · وحوالى الخامسة فجرا ، أنهى القائد إعادة التنظيم فى مجموعتى مشاه ميكانيكى داخل حاملات أفراد مدرعه نصف جنزير ، وعززها بعدد من الدبابات ، ثم دفعها نحو موقع البيوكى ؛ حيث استعدت لاقتحامه من مسافة ٤٠٠ متر ·

٥ - وقبل أن تبدأ الاقتحام ، أنصبت عليها نيران المدافع المضادة للدبابات ؛ فأصابت ثلاث دبابات وحاملة نصف جنزير إصابات مباشرة ، كما قتل قائد الكتيبة فتأخر الهجوم للمرة الثانية حتى الخامسة والنصف ، بينما تسكت المدافع عيار ١٠٦ ملليمتر المضادة للدبابات تبة زارع بقذائفها ، فتمكنت القوات المهاجمة من اكتساح الموقع وسقطت تبة البيوكى حوالى الساعة السادسة والنصف صباحًا [٢١] .

٦ - وبمجرد سقوط التبة اتخذها العدو قاعدة نيران لاقتحام تبة زارع ، التى ركز عليها قذائف المدفعية ونيران الرشاشات ، بينما راحت الطائرات تنقض عليها وتمطرها بالقنابل والنابالم ، حتى أحالتها إلى شعلة من النيران ، وصلت تحت سترها إلى السفح الشرقى لزارع توطئة لاجتياحها ·

٧ - وكانت أنظار العقيد العبد تتابع القتال حول زارع ، الذى أقتنع أنه لم يعد أمامه فرصة للتشبث بالدفاعات تحت هذه الظروف القاسية، فأمر قائد التبة بالانسحاب. غير أن هذا القائد الباسل صمم على مواصلة القتال ، فدفع إليه العبد فصيلة مشاه . ولما شارفت ذخيرة المدافعين على النفاد ، نصح قائد فصيلة التعزيز قائد الموقع بالانسحاب ، الذى سرعان ما جاء تصديق العقيد العبد عليه ، مع عظيم تقديره للبطولة التى أبداها الموقع . وهكذا انتهى الاشتباك الثالث والأخير ، وتوقفت النيران حوالى الساعة الثامنة والنصف صباح ١ نوفمبر ١٩٥٦ .

٨ - ولما أبلغ العقيد العبد هذا الموقف للعميد القاضى بالعريش ، أمره بإخلاء الدفاعات الأمامية الباقية شرق رفح ، وإعادة تنظيم قواته على الخط السعام المجرونتين - الماسورة - القبة - الجميزة ، فأصدر العبد أمره الإنذارى إلى مرؤوسيه للاستعداد لتنفيذ الخطة الجديدة [٢٢] .

لقاء فوق تبة المجرونتين [٢٣]

واستدعى العقيد العبد قائد الكتيبة ١٥ المشاه ، والآلاى الخامس مدفعية الميدان لعقد دراسة سريعة للموقف ، الذى وجدوه يتلخص فى الآتى :

١ - صعوبة إعادة التنظيم على الخط الجديد ، تحت سيطرة العدو الكاملة على سماء المعركة .

٢ - التفوق الساحق لقوات العدو ، مع انقطاع الأمل فى نجدة مجموعة اللواء الخامس بأى قوات إضافية .

٣ - نفاد الذخيرة وكثرة الخسائر فى الأفراد والأسلحة والمعدات ، وإسراف العدو فى استخدام النابالم .

٣ - تعرض خط الماسورة المجرونتين للاختراق ؛ لعدم توفر الوقت لتجهيزه هندسياً ، علاوة على إنهاك القوات المتيسرة للدفاع عنه .

٤ - ولما نقل العقيد العبد ملخص تلك الدراسة إلى العميد القاضى ، صادف ذلك قبولا منه نظرا لسابق استلامه توجيهات القيادة العامة ، بضرورة إخلاء سيناء ، وسرعة عودة قواتها إلى الضفة الغربية للقناة .

موقف قوات المجموعة ٧٧ عمليات فى صباح ١ نوفمبر[٢٤]

رغم إن خطة الألوف لاسكوف كانت تقضى باستغلال النجاح ، وانطلاق مجموعة لواء بارليف المدرعه نحو العريش ، بمجرد تأمين تقاطع طرق الماسورة ، إلا أن حالة الإنهاك التى كان عليها جنوده الذى قاتلوا طول الليل فى معارك ضارية ، وتحملوا خسائر كبيرة ، وقفت حائلاً دون ذلك .

وبناء على ذلك ، اكتفى بارليف بإعداد الكتيبة المدرعة الثالثة ، التى لم تشترك فى القتال لوجودها فى احتياطى اللواء ، وتجهيزها لاستغلال النجاح على امتداد الطريق المحاذى للضلع الشمالى لمعسكر رفح .

وفى الوقت نفسه ، صدرت الأوامر لمجموعة الكتيبة الثانيه المشاة ، وما بقى من سرية الدبابات التى تعززها أن تبدأ تحركها شمالاً ، بعد أن استولت على جوز « أبو رعد » على طريق العوجه - رفح ؛ لتحتل موقع الماسورة وتؤمنه [٢٥] .

وانتظمت تلك المجموعة وفى مقدمتها سرية إستطلاع مجموعة لواء الالوف مثنيه جيبلى فى عرباتها الجيب ، وخلفها باقى الرتل الذى انتشر على جانبى الطريق الأسفلت ، وفى منتصفه سرية الدبابات ، تحمل فوق ظهرها سرية مشاه كاملة ، وإلى الخلف منها سرية المشاه الميكانيكية ، بينما انتظمت السريتان الميكانيكيتان الأخريان على الجانب الآخر للطريق .

وفى الساعة السابعة والنصف صباح الخميس ١ نوفمبر ، كانت أوضاع مجموعة عمليات لاسكوف فى منطقة رفح على النحو التالى : [٢٦]

١ - مجموعة قتال مدرعة وكتيبة مشاه ميكانيكية من مجموعة اللواء ٢٧ المدرع ، تقوم بتأمين منطقة زارع - خبرة العدس ، وطريق رفح - خان يونس من اتجاه قطاع غزة .

٢ - مجموعة كتيبة مشاه من مجموعة اللواء الأول المشاه الجولانى ، ومعها مجموعة قتال مدرعة من مجموعة اللواء ٢٧ المدرع ، تحاول تعميق الاختراق فى مواجهة مواقع أم عمد ، وتبة ضرب النار ، وموقع البستان .

٣ - مجموعة قتال من مجموعة اللواء ٢٧ المدرع ، تنتظر قرب طريق خان يونس - رفح ، وهى على أهبة الاستعداد للتقدم إلى تقاطع الماسورة بموازة الضلع الشمالى لمعسكر رفح .

٤ - مجموعة كتيبة مشاه ميكانيكية من مجموعة اللواء الأول المشاه ، معززة بسرية دبابات ، تقترب من المواقع الدفاعية حول الماسورة .

٥ - كتيبة المشاه الرابعة من مجموعة اللواء الأول المشاه ، تؤمن حقل الألغام التكتيكى .

٦- مجموعة اللواء ١١ المشاه قيادة الألوف مشنيه اهارون دورون فى منطقة التجمع شرق رفح فى الاحتياطى العام لقوات لاسكوف .

٧ - مجموعة اللواء ١٢ المشاه قيادة الألوف مشنيه دافيد اليعازر ، تستعد للزحف على قطاع غزة .

انسحاب قوات مجموعة اللواء ٥ المشاه من رفح :[٢٧]

فى ضحى ١ نوفمبر ، كانت الكتيبة ٤٣ حرس حدود فلسطين لا تزال تتمسك بموقعها الدفاعى حول تقاطع الماسورة ، بينما تتقاطر باقى قوات مجموعة اللواء ٥ المشاه على المجرونتين استعداداً للانسحاب إلى العريش .

وبعد تبليغ كافة الوحدات المرؤوسة بقرار ودواعى الانسحاب ، قام العقيد العبد ومساعدوه بتنظيمه على الوجه التالى :

١ - تظل الكتيبة ٤٣ حرس حدود فلسطين متمسكة بدفاعاتها فى الماسورة ، وحتى موقع الفنطاس لستر انسحاب القوة الرئيسية لمجموعة اللواء إلى العريش .

٢ - يتم الانسحاب على طريق الدرب السلطانى بحذاء ساحل البحر ، لاحتمال تعرض الطريق الأسفلتى إلى العريش لأعمال العدو البرية والجوية الكثيفة .

٣ - يبدأ الانسحاب بالآلاى الخامس مدفعية الميدان ، ثم قيادة اللواء فالكتيبة ١٥ المشاه ، ثم الكتيبة ١٤ المشاه كمؤخرة . وقد أتمت القوات إخلاء رفح ، بينما العدو يشتبك بنيرانه الحامية ضد موقع الكتيبة ٤٣ حرس حدود فلسطين ، التى

كان لصمودها الفضل فى تعطيل العدو وإلحاق الخسائر به ، وتأخير استيلائه على التقاطع والمجرونتين ، حتى تم الانسحاب وفقًا للخطة الموضوعية .

٤ - وقبيل الظهر ظهرت طلائع الآى الميدان عند محطة الأبطال ، شرق بلدة العريش ، تعقبها باقى قوات مجموعة اللواء الذى تلقى قائدة أمراً من قائد الفرقة بالتجميع فى المساعيد غرب العريش ، واحتلال منطقة دفاعية بها بالتعاون مع الكتيبة ٢٤٧ حرس حدود فلسطين ؛ لتأمين المستودعات الإدارية بتلك المنطقة .

٥ - ثم وصل أفراد الكتيبة ٤٣ حرس حدود فلسطين ، بعد أن أدوا المهمة الملقاة على عاتقهم على أفضل صورة [٢٨] .

التعليق

وقفت طبيعة الأرض المفتوحة وقلة القوات المتيسرة حائلاً بين العقيد جعفر العبد ، وتحقيق دفاع قوى عن منطقة رفح ، فيما بين العجرة جنوبًا والبحر المتوسط شمالاً ، والحدود السياسية وخط الهدنه شرقًا ، والشيخ زويد غربًا .

ومع أن المنطقة الصالحة للدفاع ترتكز على مجموعة الهيئات الأرضية المحيطة بمعسكر رفح . . فإنها كانت تشكل قوساً حول المنطقة ، يفتقر إلى العمق الذى يكفل للدفاع الاستقرار والإتزان . ونتيجة لذلك ، فقدت دفاعات رفح عنصراً مهمًا من عناصر الدفاع ، وهو العمق وتوفير المساحة الأرضية الضرورية للمناورة .

وبالنسبة لطول المحيط الخارجى للدفاعات ، لم تكن القوات المتيسرة للعقيد العبد تكفى لتحقيق الكثافات اللازمة ؛ حيث إنها لم تزد على ١/٥ كتيبة ، و٤ مدافع ميدان وهاون ، و٢ مدفع مضاد للدبابات فى كل كيلو متر من المواجهة ، إلى جانب افتقار القوات إلى خفة الحركة التى تعتبر حجر الزاوية فى الدفاع فى الأراضى الصحراوية ، وبالنسبة لاتساع الأراضى شرق رفح . . فقد كان الواجب تزويد العقيد العبد بمدفعية بعيدة المدى ؛ حتى يتمكن من السيطرة بالنيران على مناطق تجمع العدو فى كرم ابن سالم ، ومستعمرة نير أسحق ، وكذلك على نطاق الأمن وحقل الألغام التكتيكى .

وكان من المقرر تزويد العقيد جعفرالعبد ببطارية عيار ١٢٢ ملليمتراً ، إلا أنها لم تصله

حتى بدأ القتال ؛ مما وضع حملاً ثقيلاً على الآلاى الخامس مدفعية الميدان ، الذى أدار معركة النيران الرئيسية بكل جدارة واقتدار .

ورغم اتساع المنطقة الدفاعية وصلاحيتها لقتال المدرعات . . فإنه لم يتوفر للعقيد العبد سوى بطارية واحدة مضادة للدبابات ذاتية الحركة وأورطة دبابات واحدة . لم تكن كافية لمواجهة قوات لاسكوف المتفوقة فى العدد والنوع ، فضلاً عن تمتعها بالسيطرة الجوية التى تحولت نهار يوم ١ نوفمبر إلى سيادة جوية مطلقة .

وقد حرص الألوف لاسكوف على الحصول على النجاح بأقل جهد وخسائر ، وهى عقيدة ثابتة فى جيش إسرائيل ، ولهذا اهتم بحشد نيران كثيفة فى مرحلة التمهيد للهجوم ، مع صب أكبر قدر منها على المواقع المصرية ، قبل اقتحامها فى منتصف ليلة ٣١ أكتوبر / ١ نوفمبر ، وقد أضافت الغارات الجوية إلى هذا التمهيد كثافة نيران عالية ، مع الإفراط فى استخدام النابالم بهدف الفت فى معنويات المدافعين وتفتيت الدفاعات .

كما اهتم الألوف لاسكوف أيضاً بالمناورة بقواته ؛ لعزل وتطويق الدفاعات وهز اتزانها بالوصول إلى مؤخرتها ؛ حيث يقبض على تقاطعات الطرق الحيوية . وبفضل تلك المناورات المتكررة ، نجحت قواته فى اختراق دفاعات رفح من الشرق والجنوب الشرقى ، بعد دفاع مجيد من جنودها ، أوقع بالعدو خسائر كثيرة فى الأفراد والمعدات ، وكاد يدفعه إلى اليأس من جدوى مواصلة الهجوم .

ولم تكن كتيبة المشاه عدا سرية معززة بأورطة الدبابات ، تكفى للنهوض بمهام احتياطى المنطقة الدفاعية ، علاوة على افتقار المشاه إلى الحملة الميكانيكية أو ناقلات الجند المدرعة ؛ لتواجه اتساع المواجهة وتباعد الجزر الدفاعية عن بعضها البعض .

وبسقوط دفاعات رفح ضحى الأول من نوفمبر ١٩٥٦ ، تقرر مصير قطاع غزة الذى انعزل تماماً وأصبح جاهزاً للسقوط مثل الثمرة الناضجة .

توثيق الفصل السادس

(١) دار المحفوظات المركزية العسكرية : مجموعة وثائق حرب ١٩٥٦ ، الملف رقم ٣٧ ، رئاسة الفرقة ٣ المشاة ، العمليات / قيد / ٤/٣/٢/٥٦/١ .

وأيضًا : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، الباب الثالث عشر ، ص ٣٢١-٣٢٣ .

(٢) المصدر نفسه : الملف رقم ٣٧ .

وايضاً : المصدر نفسه : ص ٣٢٦-٣٢٣ .

(٣) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٢٢٣-٣٢٧ .

وأيضًا الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص ١٥٣-١٥٥ .

وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 184.

(٤) Ibid, pp. 184–186.

وأيضًا : Op.Cit.: I.D.F. Campaigns, pp. 212–213.

(٥) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، الباب الثالث عشر ، ص ٣٤١-٣٤٧ .

وأيضًا : Gabi, Hayim : I.D.F. In Three Campaigns (Tel Aviv, Sifre Gvurah, 1967), pp. 311–314.

(٦) دار المحفوظات المركزية العسكرية : سجل عمليات حرب ١٩٥٦ ، رقم القيد ١٠٣٦/ ٦٦٣ يومية الحرب الشرقية ، المدة من ٢٩/ ١٠ إلى ١٨/١١/١٩٥٦ ، المرفقات ١١٣ ورقة .

وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 187–188.

وأيضًا : المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٥٤-١٥٦ .

(٧) المصدر نفسه : ص ١٥٥ .

وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 187–188.

وأيضًا : Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 549–550.

(٨) المصدر السابق : سجل عمليات ١٩٥٦ ، يومية الحرب عن القيادة الشرقية .

وأيضًا : Gabi, Hayim : I.D.F. In Three Campaigns (Tel Aviv, Sifre Gvurah, 1967), pp. 317–331.

(٩) سخر الجنرال ديان من جدوى القصف البحرى ضد رفح بالأسطول الفرنسى قائلاً : « لقد تمخض الجبل فولد فأراً ، ولقد كانت نصف بطارية مدفعية إسرائيلية تستطيع أن تحقق نتائج أفضل منه بكثير » .

Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 548–554.

كما ذكر فى كتاب معركة سيناء فى الصفحة ١٥٤ أن هذا القصف البحرى كان خيبة أمل كبيرة .

وأيضًا : المصدر السابق : سجل عمليات حرب ١٩٥٦ ، يومية الحرب عن القيادة الشرقية .

وأيضًا : Op.Cit.: I.D.F. Campaigns, pp. 223–224.

(١٠) Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 548–549.

دار المحفوظات المركزية العسكرية : مجموعة وثائق حرب ١٩٥٦ ، عمليات الفرقة ٣ المشاة ، فى المدة من ٢٩ أكتوبر إلى ٢ نوفمبر ١٩٥٦ الملف رقم ٣٧ ، قيد ع/ ٣/ ٢/ ٥٦/ ١ .

(١١) Ibid, Same, Pages.

وأيضاً : المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(١٢) Ibid, Same, Pages.

وأيضاً : المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

وأيضًا : Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 186–188.

(١٣) دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٣٧ ، قيد ع/ ٣/ ٢/ ٥٦/ ١ .

(١٤) المصدر نفسه .

(١٥) Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 186–188.

وأيضًا : المصدر السابق : الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢ ، ص ١٥٣-١٥٦ .

(١٦) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٥٧-١٥٨ .

(١٧) دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٣٧ ، قيد ع/ ٣/ ٢/ ٥٦/ ١ . وأيضًا : De–Hadar, Mose Ofer, Yehuda : Israel Air Force, (Tel Aviv, Ministry of Defence Publications, 1971), pp. 127–128.

(١٨) دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٣٧ ، قيد ع/ ٣/ ٢/ ٥٦/ ١ .

(١٩) المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، الباب الثالث عشر ، ص ٣٤٩-٣٦٨ .

(٢٠) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(٢١) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(٢٢) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(٢٣) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(٢٤) المصدر نفسه - الصفحات نفسها .

(٢٥) Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 549–551.

(٢٦) Op.Cit.: I.D.F. Campaigns, pp. 213–214.

وأيضًا : p.Cit.: Elusive Victory, pp. 187–188.

(٢٧) Op.Cit.: Elusive Victory, pp. 188–191.

وأيضًا : المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية : الملف رقم ٣٧ ، قيد ع/ ٣/ ٢/ ٥٦/ ١ .

(٢٨) المصدر نفسه .

وأيضاً : المصدر السابق : حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ، الجزء الثانى ، الباب الثالث عشر ، ص ٣٦٦-٣٦٨ .